للقدر رأى آخر

جميلة سالم

الطبعة الأولى
الكتاب : للقدر رأى آخر
المؤلف : جميلة سالم
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
تصميم الغلاف : محمد مرسى عبد الرحمن
المقاس : 14 × 20
رقم الإيداع : 8044 / 2015
الترقيم الدولي : 5 – 051 – 776 – 977 – 978

التجهيزات الفنية والطباعة
دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عمـاد سـالم

جميع الحقوق محفوظة

إهـداء..

- ❖ إلى القلم الذى تنطلق منه سهام الكلمات فتكسر قيوداً ، وتحرر قلوباً ، وتأسر أرواحاً .
- ❖ إلى أمي ..الحنان والقوة في شكل امرأة.
- ❖ إلى حبّات اللؤلؤ التى تسعد قلبي دائماً ببريقها الصادق .. إخوتي.
- ❖ إلى الصغار أصحاب الضحكات المنيرة لقلبي :"آدم" و "مازن" و "ملك" و "مريم".. أبناء إخوتى ، وإلى أسرهم الصغيرة.
- ❖ إلى أبي .. الحلم الحنون الذى لا أعرف متى وكيف سيتحقق.
- ❖ إلى فاطمة و شيماء و باقي الأصدقاء.
- ❖ إلى نبض قلبي والذى اكتشفت له اسماً آخر بعد سنوات طوال.. "سمير الطيب".
- ❖ إلى كل أساتذتي الذين أسهموا فى تشكيل فكر وشخصية "جميلة سالم".
- ❖ إلى كل من قابلتهم فى حياتي ولو صدفةً سواءٌ أسعدونى أم أتعسونى ؛ فجميعهم تعلمت منهم لأُصبح ما عليه الآن.
- ❖ إلى الشاعر الكبير صاحب القلب الأكبر .. أستاذي الكريم: "السيد حسن"

❖ إلى الشاعر الفريد "عماد سالم" و الشاعرة المميزة "هناء أمين" و دار يسطرون الذين أسهموا جميعاً فى تحقيق حلمي الصغير بإصدار مجموعتي القصصية الأولى.

❖ إلى المصمم الفنان "محمد مرسي عبدالرحمن".

❖ إلى نفسي.. وصدقاً إنها ليست بنرجسية ، وإنما لعلمي بأنه لن يحدث أن يهدي أحد كتابه الأول لي .. لذلك سأقوم بها أنا.

❖ إلى كل من يقرأ هذه المجموعة ولو عن طريق الصدفة.

❖ وأخيراً .. إلى كل من يحاول أن يكون إيجابياً بما يكفي.

"جميلة سالم"

مقدمة

"للقدر رأى آخر"

بين فنية القص وأخلاقية العظة

مازلت أجد ذاتى منحازاً إلى تلك النظرة الخاصة إلى القصة القصيرة باعتبارها محاولة للقبض على لحظة زمنية بذاتها، ومحاصرتها من كل نواحيها؛ بغرض الكشف عما هى مفعمة به، من أحداث ومشاعر وأفكار ورؤى كاشفة للشخصيات، وأنها وإن كانت تكثف الأضواء على هذه اللحظة، فإنها لا تنسى أبداً أنها تتعامل مع شخصيات لها تاريخ إنساني، تمتلك ماضياً ممتداً، وتخطو صوب مستقبل أكثر امتداداً، هى شخصيات لا تبدأ مع بدء القصة ولا تنتهي مع نهايتها، وهذا ما ينبغى أن يكون حاضراً فى ذهن من يكتبها، وينبغى أن ينجح فى إيصاله إلى من يقرؤها.

اللحظة المختارة للكتابة ينبغى طبعاً أن تكون محملة بالدلالات، واللغة ينبغى أن تكون بالغة التكثيف، بالغة الإنسانية أيضا، لتمتد جسور من الحميمية بين القصة وقارئها، فالقصة القصيرة بداهة لا تعني فقط تلك التى تستغرق عدداً أقل من الأوراق أو السطور، وإنما هى تقنية مختلفة للكتابة تحاول أن تعتصر اللحظة بهدوء وفنية وإنسانية، بعيداً عن أى درجة من المباشرة، وأي قدر من الدعائية.

أثبت هذه الكلمات هنا وأنا أدخل إلى هذه المجموعة القصصية للكاتبة الشابة "جميلة سالم " (للقدر رأى آخر)، فأجد أني أمام مجموعة من القصص التى تتسم بعدد من السمات على المستويات الفنية والفكرية وحتى الأخلاقية، أحاول أن أرصدها وأترك للقارىء أن يحدد هو بذاته موقفه من كل سمة من هذه السمات، فإذا وافقت رؤيته لماهية القصة القصيرة فبها ونعمت، وإن لم توافقها فلابد أنها ستثير فى نفسه جدلاً مفيداً على المستويات المذكورة.

أولى هذه السمات: أن الكاتبة تمنح "الأفكار" عناية أكبر من رسم الشخصية، أو إعطائها بعداً حياً، وهى بذلك تعكس لوناً من ألوان طغيان مفاهيم التنمية البشرية والبرمجة العصبية النفسية حيناً، ومفاهيم العظة الفكرية حيناً آخر، وكأنها تحاول أن تمنح قارئها بناءً قصصياً غايته إبراز الفكرة حتى لو أتى هذا على حساب إنسانية الشخصيات أو قابليتها لأن تتحول إلى شخصيات من لحم ودم، وربما كانت القصة التى تحمل المجموعة عنوانها أكثر القصص تجسيداً لهذه السمة.

ثاني هذه السمات: أن الكاتبة تحاول اعتماد تقنية التشويق وإثارة غريزة حب الاستطلاع لدى القارىء، حتى لو كان ما سيكتشفه بعد التشويق والسير فى دروب حب الاستطلاع متوقعاً ومنطقياً على نحو ما نجد مثلاً فى قصة "الغرفة المغلقة".

ثالث هذه السمات: أن الكاتبة كثيراً ما تميل إلى صوغ تلك القصة الداعية إلى تأمل المعنى، فى محاولة لإقرار قيمة أخلاقية، كقيمة الرضا التى تكثفها من خلال قصة "الشارع المزدحم" مثلاً، فهى تقول لنا أعيدوا تأمل أسباب ضجركم بالحياة، فربما كانت هى ذاتها أسباباً تدعوكم للرضا عن الحياة، فالزحام الذى نضيق به سيصبح فى أعيننا نعمة كبرى إذا جربنا الوحدة والوحشة والخوف، وهكذا، وهى فى ذلك تتماهى مع السمة الأولى المتعلقة بالانحياز للأفكار والتساوق مع أفكار التنمية البشرية الحديثة.

رابع هذه السمات: يتعلق بمفهوم الحكى أو القص، فالكاتبة كثيراً ما تعتمد هذه التقنية، التى لا تخلو أحياناً من إبراز قيمة المفارقة، وذلك فى محاولة –أيضا– للتأكيد على معنى أخلاقى أو عظة نفسية أو لمحة تأملية، وذلك على نحو ما نرى مثلاً فى قصة "ابتسامة أمل" التى تقول: لا تغرنكم المظاهر، ولا تستسلموا لليأس، ولا تحكموا على الأشياء والأشخاص والأحداث من ظاهرها، وإنما حاولوا أن تعرفوا جواهر الأشياء، وأن تثقوا بأن للكون منطقاً مستقيماً، وأن تنفذوا إلى حقائق الأشياء والأحداث والأشخاص.

هل ينبغى أن نشير إلى أن العلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة فى إطار اجتماعى تشغل جانباً مهماً من تفكير القاصة، وتنعكس ظلالها على قصصها بصورة غير مباشرة حيناً، أو حتى مباشرة حيناً كما فى قصة "زواج صالونات"؟

وهل نتجاوز المجموعة إلى صاحبتها فنقول إن كونها شابة فى مقتبل عمرها الإنسانى ومسيرتها الإبداعية يسوغ لها هذا الانشغال بهذه المنطقة من العلاقات الإنسانية؟

أم أن هذه المنطقة تظل دائماً شديدة الجاذبية لكل من يطأ حرم القص سواء فى القصة القصيرة أو الرواية لما تمتلىء به هذه المنطقة من معان ومشاعر ودلالات.

إن مجموعة "للقدر رأى آخر" مجموعة مهمة بقدر ما تثير من قضايا فنية وأخلاقية وفكرية حول القصة والإنسان والمجتمع ، وهى تبشر بأننا أمام قاصة تعد بالكثير، لاسيما إذا آمنت بأن اللغة المكثفة أقرب إلى ماهية القصة القصيرة من الحكى، وإذا آمنت بأن الشخصية التى هى من دم ولحم أقدر على إثارة الحميمية من الشخصية الماريونيت التى تتحرك بفعل الفكرة وفى خدمتها.

مجموعة قصصية جديدة مهمة تضاف إلى الإنتاج الأدبى لتثير مزيداً من الجدل المفيد على المستويات كافة، أو هكذا أتصور أنا.

الشاعر

السيد حسن

ابتسامة أمل

لم أكن أعرفها إلا من خلال لحظاتٍ تمر فيها أمامي ثم تغيب كمغيب الشمس ولكني لم أدرك وقتها أنها بالفعل كالشمس؛ توزع أشعتها على كل من حولها لتنير لهم وتشعرهم بالدفء، لم أكن أعلم أنها جديرة بالاحترام والتقدير إلى هذا الحد؛ فقد كنت دائماً أنتقدها ليس لعيبٍ كبيرٍ فيها فأنا لم أعرفها جيداً لأعرف عيوب شخصيتها ولكن لشيءٍ اعتبرته وقتها عيباً من عيوبها التى لم تظهر لي بقيتها بعد.

كنت دائماً أرى على وجهها تلك الابتسامة الدائمة التى تجعلني أسأل نفسي: تُرى هل هي سعيدة إلى هذا الحد حتى يراها الناس دائماً مبتسمة؟! وإن كانت السعادة تتنافى مع ظروف كل من يسكن بتلك المنطقة فبما أننا جيران أستطيع أن أعرف أن ظروفها المادية تتطابق مع ظروفي ككل من يسكن تلك المنطقة الشعبية الفقيرة. أم أنها لا تهتم لهذه الظروف ولا تفكر إلا بإسعاد نفسها فقط بابتسامها الدائم؟!!

كنت أرها دائماً تعبر هذا الشارع وتتبادل التحية مع كل من يقابلها بكلماتها البسيطة وابتساماتها الشهيرة بين من يعرفونها . وقد رأيت نظرة التقدير في أعينهم . لكنى لم أهتم ولم أحاول أن أسألهم عن السبب الذي يجعلهم يحبونها ويحترمونها إلى هذا الحد بل ولا يرون فيها ما أراه من انتقادٍ

لها ولابتساماتها التى تبتسمها في وجه من يعرفها ومن لا يعرفها، لم يكن يشغلني التفكير فيها كثيراً فأنا لم أتذكرها إلا حين رؤيتها فقط لكنها عندما تغرب عن وجهي أنساها تماماً.

وذات يومٍ حدث شئ لم أتوقع حدوثه أبداً فقد كنت أعمل في شركة منذ سنوات وأحاول أن أكوّن نفسي لأتزوج من خطيبتي التى أحبها أكثر من نفسي وأتحمل من أجلها كل متاعب الحياة التى لا تحتمل. كنت أعمل صباحاً عامل خزينة في تلك الشركة ،ومساءً أعمل بشركة أخرى من شركات الأمن والحراسات الخاصة وكنت ضمن طاقم الأمن المكلف بحراسة عمارة من العمارات الكبرى التى يسكنها نخبة من أصحاب الطبقة الرفيعة وكنت أرهق نفسي قدر الإمكان حتى أتمكن من الإسراع بالزواج من خطيبتي التى أذوب فيها حباً. ولكن ما حدث جعلني أفقد صوابي وأفقد القدرة على التحكم بنفسي وبتصرفاتي ؛ فقد تمت سرقة الخزينة التى تقع تحت مسئوليتي ولم نكتشف السارق ولكن أصحاب الشركة لم يرحموني من إلقاء اللوم عليَّ وتحميلي المسئولية كاملة ؛ فقد اتهموني بسرقة الخزينة وأرغموني على تقديم استقالتي حتى تثبت براءتي أو إدانتي.

كانت هذه هي الهزة الأرضية أو "الزلزال" الذي تبعته "التوابع" التى كانت لها الأثر الأكبر في تدميري؛ فحينما علمت شركة الأمن التي أعمل لديها بما حدث استغنت هي الأخرى عن خدماتي فأصبحت فجأة عاطلاً بعدما كنت أشغل وظيفتين مختلفتين بل وأصبحت سمعتي ملوثة بتهمة

السرقة والله يعلم أنني ظلمت في هذا؛ فأنا حقاً لم أسرق أبداً بل ولم أستحل لنفسي أبداً ما ليس من حقي حتى وإن كان كلمة شكر.

وحان وقت صدمتي الثالثة...فحينما علمت "توأم روحي" بما حدث كان رد فعلها أسرع مما توقعت بل وعكس ما توقعته تماماً؛ فقد فوجئت بها ترسل لي مع أخيها دبلة خطبتنا وكل الهدايا التي أهديتها إياها منذ بداية حبنا وارتباطنا ،وليس هذا هو كل شئ بل والرسائل والخطابات التي كنت قد كتبتها لها ،ومع كل ذلك رسالة شفهية أرسلتها لي مع أخيها، وحقيقةً قالها لي بكل ثقة وجرأة حيث قال:" أختي "أحلام" أرسلت إليك معي تلك الأشياء وتقول لك إن كل شيءٍ نصيب وأنت لست نصيبها وترجو منك ألا تحاول أن تتصل بها بأية وسيلة ،وعلى كلٍ فإن والدي لن يقبل بأن يتم زواج أختي الوحيدة بشخصٍ ثوبه ملوث ببقعة السرقة."ثم انصرف في تكبر بعد إلقاء كلامه كالقنبلة في وجهي. صدمني كلامه وأكثر ما آلمني فيه عبارته الأخيرة :"ثوبه ملوث ببقعة السرقة"!! واكتشفت أن حلمي بأحلام أصبح سراباً وآخر ما كنت أتوقعه أن تتخلى عنى بهذه البساطة واللامبالاة وكأنها تلقي بزهرة قطفتها في سلة المهملات بعد أن ذبلت أوراقها بين يديها. حينها اشتد بي الألم وازداد في عينيّ الظلام ؛ فحتى "أحلام" التي كنت أتحمل من أجلها كل شئ خانتني وخانتني ثقتها في شخصيتي وأخلاقي ، شعرت بلحظات يأسٍ لم أشعر بها من قبل ، لم أقدر على احتمالها وأحسست أن كل شئ قد ضاع من يدي : عملي ، خطيبتي ، سمعتي

ومستقبلي فلم أجد سبباً واحداً أحيا من أجله فأوصلني اليأس إلى درجة كرهت فيها الحياة وأحسست أنني عالة عليها فقررت أن أريحها من عبئي فذهبت إلى الصيدلية الكائنة بالطابق الأول من العمارة الصغيرة التي أسكن بها وطلبت منوّماً من د/ عصام الذي يملك ويدير تلك الصيدلية . وهو رجل معروف بالأمانة وحسن الأخلاق . فادعيت أنني مصاب بالأرق منذ ليالٍ وأريد هذه الليلة أن أنام نوماً عميقاً حتى لا يزداد إرهاقي فأعطاني زجاجة منوّم قوي المفعول . كما أشار لي . وحذرني من تناول أكثر من قرصين في اليوم فقط عند الحاجة الماسة إليه وكانت معي ورقة بمائتي جنيه لم أملك غيرها ولم يكن لديه هو ما يكفي ليعطيني ما تبقى منها بعد أخذ ثمن المنوّم فتركت له الباقي حتى يكمله . كما قلت له . ولكنى قلت لنفسي إنني لن أحتاج لهذا المال ، فعلى كلٍ ، دخول الآخرة ليس مكلفاً كما يظنون ، ولن أحتاج فيه لمالٍ كي أنفقه أو أشتري به شيئاً لنفسي ، وصعدت لشقتي على الفور وأنا أمسك بزجاجة المنوّم التي أيقنت أن نهايتي تكمن بداخلها ، وكما كنت أشاهد دوماً في الأفلام السينيمائية جلست لأكتب كلماتٍ قبل رحيلي في رسالة لعالم فررت من قسوته ، وحين أمسكت بالقلم لم أكن أعلم ما الذي يجب أن أكتبه ولمن! لكني سرعان ما بدأت بالكتابة فكتبت رسالة للعالم الذي ظلمني وحاسبني على خطأ لم أرتكبه حتى في أحلامي! وشرحت سبب يأسي و انتحاري ثم أخذت زجاجة المنوّم وفتحتها وبدأت أبتلع الأقراص منها واحداً تلو الآخر بكوبٍ من الماء حتى إنني لا أذكر كم

قرصاً أخذت . نظراً لكثرتها . ولم أشعر بشئ سوى أنني أفقد صوابي وأقع على الأرض وأنا أطل من نافذتي على الشارع الذي عِشت فيه لسنوات وفي نفس اللحظة مرت صاحبة تلك الابتسامة الدائمة وهي تبتسم كالعادة لمن يقابلها ، حينها قلت لنفسي : ما أغرب القدر الذي يجعل شخصاً مثلها يعيش طوال حياته سعيداً مبتسماً وآخر مثلي يموت باكياً حزيناً بعد رحلة كفاحٍ وصبرٍ تنتهي بالظلم و الدموع .وسقطت على الأرض وأنا أودع الدنيا وأحلامي الوردية الوهمية.

وبعد مدة لا أعرف كم تبلغ من الوقت سمعت أصواتا هادئة لكنها كثيرة فتحت عينيّ فوجدتني ملقى على سرير ذي ملاءة بيضاء وحولي الكثيرون من جيراني سمعت منهم كل كلمات المواساة وأكثر من عبارة للتهنئة بسلامتي وإزالة الخطر عني فسألتهم وقتها عما حدث فحكي لي أحدهم أن د/" عصام" الصيدلي هو من عرف بما حدث لي ونقلني بسيارته إلى هذا المشفى وذلك عندما أكمل بقية المائتي جنيه من أحد زبائنه وصعد إليّ كي يعطيني إياها وطرق الباب كثيراً ودق الجرس أكثر ولكن دون جدوى فأنا كنت تحت تأثير المنوّم الذي تناولته وعندما يأس نزل مرة أخرى متجهاً نحو صيدليته إلا أنه رأى أحد الأشخاص يسأل عني فاستوقفه وسأله فيما يريدني فأجابه بأنه أمر خاص في غاية الأهمية ولا يحتمل التأخير فرافقه د/ عصام مرة أخرى إلى شقتي وكرر المحاولة كي يوقظني لأنه متأكد أنني داخل الشقة فقد رآني أصعد إليها ولم أهبط منها ثانية وعندما فقد الأمل مرة أخرى

ساوره القلق فقد تذكر أنني قلت له بأنني سأقوم ببعض الأعمال بالمنزل وسأتناول المنوّم في المساء فمن المفترض أن أكون الآن مستيقظاً بالشقة. ونظراً لإلحاح الشخص الذي كان يسأل عني على مقابلتي فوراً لأمر هام فكر "عصام" فيما يجب أن يفعله فتذكر أن معه رقم الهاتف الخاص بمنزلي فحاول الاتصال بي عبر هاتفه الخلوي ولكنه لم يسمع سوى صوت جرس الهاتف ولم يجبه صوتي فازداد قلقه وأيقن أن شيئاً سيئاً قد وقع فنادى بقية جيراني وسألهم المساعدة في كسر باب الشقة بعدما شرح لهم الموقف بإيجاز فساعدوه جميعاً في كسر الباب فوجدوني ملقياً على الأرض دون حراك ، فتفقدني د/ عصام وعرف . عن طريق خبرته كصيدلي . أنني قمت بتناول المنوّم بغرض الانتحار فحملني بسرعة إلى سيارته بمساعدة جيراني الآخرين وانطلق بي إلى أقرب مستشفى وفي هذا الوقت كان الرجل الذي جاء ليسأل عني قد وجد أن الظروف غير مناسبة لما جاء من أجله وخاصة عندما قرأ الرسالة التي تركتها فقرر أن يذهب فورا ثم طلب من د/ عصام قبل رحيله أن يطمئنه عبر هاتفه الذي أعطاه رقمه تواً. وحين وصل بي د/ عصام إلى المستشفى قام الطبيب بعمل اللازم حتى زال عني الخطر تماماً وكلف أفضل ممرضيه بعنايتي وملاحظتي.

حكى لي جاري كل هذا وصوته يحمل نبرة لوم لي على ما فعلته بنفسي لكني لم أحاول أن أدافع عن نفسي ولو بكلمة ؛ فقد سخر مني القدر

ولعب بي لعبة غريبة فلم يكفهِ أن يحرمني من متعة الحياة ليحرمني أيضاً من راحة الموت .. عجباً.

وفجأة.. وجدت الجميع قد لفت انتباههم ونظروا جميعاً في جهة واحدة وقال د/ عصام: أهلاً آنسة "أمل" لقد أرهقناك اليوم معنا

فرد الصوت: كلا فإنه واجبي يا د/ عصام.

نظرت إلى الصوت فكانت المفاجأة .. فإذا بها تلك "المبتسمة دائماً" صاحبة تلك العلامة التي تميزها في أعين الناس وتجعلني أنتقدها في الوقت ذاته، صاحبة تلك الابتسامة التي لم أر معنى لوجودها المستمر فوق شفتيها... نظرت إليها في ذهول فقالت بابتسامة ووجه بشوش: حمداً لله على سلامتك

. أشكرك يا آنسة

. علام تشكرني؟! إنه واجبي.. والآن أريد أن أعطيك الدواء.. أتسمح لي؟

ثم نظرت إلى جيراني قائلة بكل احترام : من الأفضل أن تتركوه الآن بعد أن اطمأننتم على صحته.. تفضلوا لأنكم جميعاً تحتاجون للراحة مثله تماماً ولو لبعض الوقت.

فانصرفوا جميعاً بعدما أعادوا على سمعي جميع عبارات التهنئة بسلامتي والتي كانوا قد ألقوها عليّ من قبل وبقي د/ عصام فسألني إن كنت أريد شيئاً

أو أحتاج لشئ فشكرته على ما فعله معي فقال لي إنني يجب عليّ ألا سأشكره فأنا –كما قال –بمثابة أخيه الأصغر ثم قال لي إنه سيطلب الرجل الذي كان يسأل عني عبر الهاتف ليبلغه أنني أصبحت بصحة جيدة ليعرف ماذا كان يريد مني ثم ألقى عليّ التحية وانصرف.

أعطتني "أمل" – الممرضة المبتسمة – الدواء ثم قالت لي: أتسمح لي أن أسألك سؤالاَ؟

. أعرفه .. لما فعلت هذا

. نعم .. فليس من السهل أن تؤذي نفسك إلى هذا الحد.

. عندما تصبح حياتك بلا معنى.. فلمَ تعيشينها ؟

. لأجعل لها معنى من جديد.

. وإن كان الأمر ليس بيديكِ ؟

. لا يوجد شئ في الدنيا يجعلك تستسلم ويرغمك على التنازل عن حياتك بهذه السهولة.

. إذاً سأقص عليكِ قصتي.. ولتحكمي بنفسك.

. بكل سرور.

فقصصت عليها كل القصة ولكن لم يظهر أي تأثر بما قلته سوى تلك الابتسامة التي تضايقني.

ثم قالت : أهذا فقط هو ما تريد الانتحار والتخلي عن حياتك من أجله؟!

. أَكُل ما قلته لك ليس كافياً؟!

. لا.. بل هو سبب أدعى كي تعيش لأنك إذا مت الآن فستموت وأنت مذنب في نظر الناس حتى وإن كنت بريئاً في الحقيقة.

. الحقيقة.. الحقيقة التي لا يعرفها غيري؟!

. يكفي أنك تعرفها.. ثم إنك لست وحدك.

.كيف هذا؟!

. إذا فكرت ستجد أن الكثيرين من الناس حولك.. فجيرانك كلهم اهتموا بك وحملوك إلى هنا وظلوا بجانبك حتى اطمأنوا عليك وهذا يعني أنهم يحبونك ويحترمونك ويثقون بك كثيراً فإن كنت في نظرهم تستحق أن تكون لصاً فلن يقدروك وقتها إلى هذا الحد.

فقلت لها بقسوة: لا تنصحيني فأنتِ لا تعرفين اليأس أو المشاكل التي من الممكن أن تقودك إلى الجنون.

. وما الذي تعرفه عني لتقول هذا؟!

. تلك الابتسامة الدائمة الوجود على وجهك، وكلامك بأمل دائماً، ومزاحك مع كل من حولك كلما رأيتهم ..كل هذا يعني أنكِ تعيشين بلا مشكلات تعكر صفو حياتك.

. بالعكس.. أنت كغيرك من الكثيرين الذين ينخدعون بابتسامتي.

. ينخدعون ؟!!

. نعم.. فإذا عرفت ظروفي لم تكن لتقول هذا أبداً.

. حقاً؟! وما هي ظروفك؟

فتنهدت من أعماق قلبها وغابت ابتسامتها فجأة وبدأت تسرد لي بصوت هادئ:

أعيش في منزل صغير أنا وأمي وأخي وأختي الصغرى فقد تُوُفي والدي منذ ولادة أختي الصغرى ولم يكن لدينا أي مصدر للدخل فعملت والدتي على ماكينة حياكة لتعولنا إلى أن حصلت على شهادة التمريض وتسلمت عملي وفكرت أنني سأقدر على مساعدة أمي في نفقاتنا أنا وإخوتي ولكن للأسف أمي كانت تخفي عنا أنها مريضة وتشعر بألم في عينيها منذ سنوات، وعندما اشتد عليها المرض فقدت بصرها وهي الآن طريحة الفراش. هذا بالنسبة لأمي أما عن أخي الذي يكبرني بعامٍ واحد فهو للأسف قعيد ويحتاج إلى من يقوم بخدمته هو الآخر، وأختي الصغرى في الشهادة الإعدادية فأنا من يقوم بالإنفاق عليهم جميعاً وعلى نفسي أيضاً فأحاول أن أعمل طوال اليوم.. هنا وفي مستشفى آخر حتى أستطيع أن أوفر لهم احتياجاتهم ولازال الطريق طويلاً فهناك رحلتا علاج أريد إتمامهما على خير لأمي وأخي وهناك

أيضاً رحلة التعليم الخاصة بأختي...ما رأيك ؟ هل ظروفي أقل من ظروفك صعوبة

. آسف.. لم أكن أعلم أن هذه الابتسامة تخفي وراءها الكثير من الدموع الحزينة.

. هذا هو ما يعرفه الناس عني.

. إذاً لماذا ترسمين تلك الابتسامة المزيفة على شفاكِ ؟!

. لا إنها ليست مزيفة بل هي أمل في الحياة فمادمت حية لن أتخلى عن بسمتي؛ فهي أملي و دوائي ، ورفيقتي ومواساتي ، فإن ابتسمت رافقتك الدنيا فتراها جميلة ومبتسمة هي الأخرى ، وإن تجهّمت في وجهها خافت منك وهربت وهرب معها الفرح والأمل ، ثم ابتسمت وقالت: ابتسم، وتذكر دائماً أنك تحيا ومادمت تحيا فهناك أمل في عمل المستحيل وفي تغيير ما يضايقك.

اجعل لديك ثقة في الله أنه لن يخذلك وثقة في نفسك أنك لن تنهزم فبهذا الإيمان وتلك الإرادة ستحصل على ما تريد.

فقلت لها: أنتِ بالفعل كنز وابتسامتك سحر وشخصيتك شمس يستمد منها من حولك الطاقة والنور والدفء.. عرفت الآن أن ابتسامتك فعلاً "أمل" كاسمك. أملاً لكِ ولكل من يراها فوق شفاكِ... أشكرك لقد غيرتِ

نظرتي للحياة وأشعلتِ شمعة الأمل بداخلي التي كانت قد انطفأت بغبار اليأس أشكرك مرة أخرى يا آنسة "أمل".

. عفواً ، والآن سأذهب إلى منزلي؛فوقت عملي قد انتهى دون أن أشعر.

. حسناً إلى اللقاء.

. إلى اللقاء.

تركتني وتركت بداخلي الأمل وحب الحياة من جديد فنمت وأنا أنوي أن أحلم أحلاماً سعيدة تغير مرارة الواقع التي نويت إزالتها بكل ما أملك من إرادة.

وفي اليوم التالي استيقظت وكان الوقت لايزال مبكراً على قدوم "أمل" إلى المستشفى والحقيقة أنني كنت أتوق لرؤيتها ولرؤية ابتسامتها التي أصبحت شمسي أنا الآخر. تناولت الإفطار الذي أحضرته لي الممرضة الأخرى وعندما انتهيت من تناوله فوجئت بمجئ د/عصام ومعه رجل آخر لم أره من قبل فتبادلنا التحية وسألني د/ عصام عن صحتي وبعد الاطمئنان عليّ قدّم لي الرجل الذي يرافقه وقال لي إنه أ/ عادل وهو نفس الرجل الذي كان يريد مقابلتي أثناء محاولتي الانتحار وأنه يحمل لي خبراً هاماً كان يريد إخباري به وقتها لكنه أرجأه حينها بسبب ما حدث فاعتذرت له وسألته عن سر إصراره على ملاقاتي ، فبدأ الرجل كلامه بالتهنئة لي بالشفاء فشكرته ورجوته بالجلوس هو و د/ عصام ، فجلسا ثم عاد الرجل يكمل كلامه الذي

بدأه، فأخبرني أنه يعمل في نفس الشركة التي كنت أعمل بها عامل خزينة ، والتي تمت سرقتها واتهمت أنا بهذه السرقة – لكن عمله كان يتبع فرعاً آخر للشركة وتم نقله هذا الأسبوع فقط – فنظرت إليه والدموع بعيني فأكمل مبتسماً بأنه قد تم اكتشاف الحقيقة وأنهم عرفوا من السارق وواجهوه بذلك فاعترف بالفعل، وبناءً عليه ثبتت براءتى وأمر صاحب الشركة بعودتي إلي العمل وبتعويضي عمّا حدث بتعويض مناسب يتمثل في: ترقية مناسبة، بالإضافة إلى زيادة راتبي بل وأمر أيضاً بعمل حفل استقبال لي الأسبوع القادم بالشركة وسيقوم بإعطائي شهادة تقدير كتعويض معنوي عما حدث لي.

أنهى الرجل حديثه وكأنه أعاد لي روحي من جديد، والتي كنت أشعر أنها خرجت من جسدي بعد حادث سرقة تلك الخزينة. فرحت جداً ورأيت فيما قاله الرجل من قرارات للمدير بمنحي تلك التعويضات المادية والمعنوية ما يكفي لشفاء جراحي، ورد كرامتي . ويكفيني أيضاً أن أحيا مرفوع الرأس كما كنت دائماً ولا أخشى نظرة الناس لي. شكرت الرجل ووعدته بأن أكون في الشركة الأسبوع القادم في اليوم المحدد للاحتفال بعودتي ، ذهب الرجل بعدما هنأني كما هنأني "عصام" بدوره ثم جلسنا معاً نتحدّث فراح يخبرني بأخبار جيراني و يذكر لي سؤالهم عني الدائم وعن صحتي.ثم استأذنني بالرحيل على أنه سيعود مرة أخرى في المساء لنخرج معاً فقد أخبرني أن الطبيب قد سمح لي بالخروج مساء اليوم نظراً لتحسن حالتي، والتي لم تعد

تستدعي وجودي بالمستشفى بعد الآن. ثم ذهب وتركني بعدما أعطاني بعض المجلات لأتصفحها ولكني بمجرد أن فتحتها سرعان ما أعدت غلقها مرة أخرى وهبطت بسرعة من سريري وركضت نحو النافذة أحاول أن أنظر ناحية باب الدخول كي أرى "أمل" وهي قادمة؛ فقد كنت أتحرّق شوقاً لملاقاتها ليس فقط لأقص عليها ما حدث؛ ولكن أيضاً لأرى وجهها البشوش وابتسامتها المنيرة الساحرة والتي نويت أن أقلدها أنا الآخر؛ فقد عزمت على أن أستعير منها صفة "الابتسام الدائم"

نعم... سأنسى همومي بعد الآن فقد عرفت دوائي: إنها البسمة!!!

فكما قالت لي أملي وشمسي " سأجعل لدي ثقة في الله أنه لن يخذلني، وثقة في نفسي أنني لن أنهزم "...فبهذا الإيمان وتلك الإرادة سأحصل على ما أريد..

نعم.. سأبتسم دائماً وأبداً، ولن أتخلى عن ابتسامتي مهما حدث؛ فإن تلك الإبتسامة هي:

ابتسامة حب،

ابتسامة حياة...

ابتسامة أمل.

....تمت....

الغرفة المغلقة

يالها من سيدة غريبة الأطوار تلك التى أعمل لديها ،فأنا أعمل جليسة للأطفال وكبار السن ،وعندما كنت أتصفح إحدى الجرائد منذ بضعة أيام وجدت إعلانا عن طلب مديرة منزل مثقفة لسيدة مسنة متوسطة الثراء، وكان مرفقا بالإعلان رقم الهاتف فطلبت الرقم وأجابتنى السيدة واتفقت معي على أن تتم المقابلة في اليوم التالي ، وعندما قابلتها لمحت في شخصيتها صفة الطيبة التي لا تخلو من ذكاء حاد بالإضافة إلى شيء من الغموض؛ فهي لا تتكلم كثيراً ، وابتسامتها صغيرة ، بل وضحكاتها محدودة جداً، كما أن نظراتها الصامتة محيّرة .. كل هذا عرفته من الدقائق الأولى لمقابلتي لها ؛ فقد علمتني الدنيا كثيراً كما أن التّقلب على مختلف البشر ترك لديّ خبرة كامنة ودراية بالأمور، عرفت من تلك العجوز أنه ليس هناك من يسأل عنها من أقاربها وعندما اتفقت معى على العمل قامت بتحديد مسئولياتي في المنزل .. فأنا سأكون مسئولة عن الطهي والغسيل وتنظيف وترتيب المنزل

بأكمله ماعدا غرفة صغيرة مغلقة لا يُسمح لي بدخولها ! وعندما سألتها عن مسئولية تنظيف وترتيب تلك الغرفة أجابت بأنها ستقوم بهذا بنفسها وأكّدت على أن لا أحد غيرها سيدخل إلى هذه الغرفة !! انتابني شعور بالغموض والقلق لكننى تركت اللغز للأيام علّها تعطينى حلاً له يوماً ما. وبالفعل فى اليوم التالي جئت لأتسلّم عملي بأكمله فرتّبت غرفتها وجميع أركان المنزل ماعدا تلك الغرفة المغلقة ، وقمت بغسل ملابسها وسجاد الشقة ، وطهوت لها الطعام وأطعمتها ،وأعطيتها الدواء الذى تأخذه يومياً؛ فهي سيدة مريضة لكنني لا أعلم مما تعاني بالضبط ، وعندما دقّت الساعة السادسة مساءً طلبت منى سيدتى عدم إزعاجها ودخلت تلك الغرفة وأغلقتها على نفسها وجلست فيها حتى الثامنة مساءً ولا أعرف ما الذي كانت تفعله بداخلها كل هذا الوقت، وعندما خرجت منها وأغلقتها بالمفتاح طلبت مني تحضير العشاء الخفيف الذي تتناوله قبل النوم،فجهزته لها وتناولته ونامت بعدما قرأت بعض الصفحات من أحد الكتب الذى اختارته من المكتبة الكبيرة المثبتة بجدار ردهة الشقة الواسعة. وظلّت هكذا أسبوعا كاملاً ..تدخل إلى الغرفة فى تمام السادسة مساءً وتخرج في الثامنة ، وكنت أحياناً أسمع أصواتاً غريبة وأحياناً أخرى يسود الصمت الكئيب الذى يخيفني ، شغل هذا تفكيري كثيراً وشعرت أن سيدتي تخبئ سراً ما فى هذه الغرفة الغامضة ولا تريد لأحد معرفته، حاولت ان أستجمع شجاعتى وأسألها عن سبب اهتمامها اليومي بتلك الغرفة ولكننى لم أشأ أن تنظر لي تلك النظرة التى نظرتها إليّ

حينما سألتها نفس هذا السؤال فى المرة السابقة ؛فقد نظرت إليّ قائلة إن هذا شيء خاص بها وحدها ولا يحق لي التدخل بشأنه ،لقد أشعرتني بالحرج وبأننى متطفلة عليها ولكن الفضول ظل ينهش فى عقلي ، وأنا أعلم أن فضولي لن يريحني حتى أعرف جوابا لهذا السؤال المحيّر ؛فالفضول أكبر ما يعيبني – في رأي الكثيرين –كان لديّ أمل في أن تقول هي لي ذات يوم عن سر تلك الغرفة المغلقة لكن صمتها جعلنى أشعر باليأس من هذا فاضطررت للرضا بالواقع والتزام الصمت حتى جاءت في يوم من الأيام وشعرت بالألم وطلبت منى استدعاء طبيبها فأحضرته لها وعلمت منه قبل انصرافه أنها مريضة بداء القلب وطلب مني أن أهتم بها وألزمها كظلها وألا أتركها أبداً لأنه يعلم أنها وحيدة تماماً وأعلمنى بضرورة منعها من كثرة الحركة اليوم فصحتها تحتاج إلى الراحة التامة ، وانصرف الطبيب تاركاً لي بعض الإرشادات الخاصة بسيدتي وحمّلنى مسئوليتها، وقمت بعملي ككل يوم، وفي تمام السادسة نادتنى سيدتي وطلبت مني أن أساعدها للوصول الى الغرفة المغلقة فنقلت لها تحذيرات الطبيب من الحركة اليوم وتأكيده على أن تلزم الفراش طوال اليوم فأمرتنى بتنفيذ كلامها هي فخضعت لها وأمسكت بيدها واصطحبتها إلى الغرفة مستندة عليّ وعندما وصلنا الى باب الغرفة حاولت الاستغناء عنى والدخول بمفردها لكنها لم تستطع وشعرت بأنها ستقع أرضاً فطلبت منى أن أفتح لها باب الغرفة وأُدخلها فقمت بذلك بالفعل وأجلستها على مقعد أشارت هي لي بأن أجلسها عليه وطلبت منى أن

أفتح نافذة الغرفة ففتحتها ووقفت أتأمل الغرفة للحظات ،لكن سيدتى قطعت تلك اللحظات طالبة منى أن أتركها بمفردها فخرجت من الغرفة بعدما تضاعفت حيرتي ؛فالغرفة عادية جداً،تحتوى على سرير صغير، ومكتب صغير له كرسي قديم وفوقه بعض الكتب والقصص للأطفال، ومرسوم على جدران الغرفة رسوم طفولية كما أن هناك دولابا صغيرا مغلقا ، ومعلّق على الجدار بعض الصور لطفلة صغيرة ، تبدو الغرفة كغرفة أطفال .. قد تكون لهذه الطفلة صاحبة الصور المعلقة بكل ركن بها ، وقد تكون لابن أو ابنة السيدة فهي لم تخبرنى إن كان لديها أبناء أم لا ..عاد إليّ نفس الخاطر القديم .. أن هذه الغرفة تحتوي على سر ما ولم أستطع طرد هذا الخاطر من رأسي بل لقد ازداد الشعور به بعد دخولي إلى تلك الغرفة ، فقد تكون سيدتي تخفي شيئا ما بالغرفة .. وليكن في هذا الدولاب المغلق مثلاً ..من يدري ربما أتمكن من معرفة هذا أيضاً فيما بعد كما علمت بشكل هذه الغرفة اليوم . جلست سيدتي بالغرفة حتى الثامنة كعادتها ثم خرجت وتناولت عشاءها ونامت بعد ذلك، وفي اليوم التالي طلبت مني مرافقتها لتلك الغرفة ثانية فى السادسة مساءً فأدخلتها وأجلستها فوق المقعد لكنها اليوم طلبت مني مساعدتها فى تنظيف الغرفة ومحتوياتها ، فأول ما تبادر إلى ذهنى هو ذلك الدولاب المغلق فذهبت إليه بعد ما أذنت لي سيدتي بفتحه وتنظيفه وقمت بفتحه وأنا أتوقع وجود كنز من الذهب أو الماس أو أي شيء غال وذي قيمة كبيرة ، لكنني فوجئت بما لم أكن أتوقعه ؛فقد كان الدولاب

يحتوي على بعض ملابس الأطفال المستعملة وبعض الأزياء المدرسية مختلفة الألوان والمقاسات والأطوال وتبدو جميعها لطفلة فى مختلف أعمارها ، وأسفل الدولاب وُضعت لعب وعرائس مختلفة وأحذية صغيرة أيضاً. خيّبت هذه الأشياء آمالي في الكنز النادر الذي منّيت عينيّ برؤيته ولو من بعيد ؛ إذ يتضح لي أن هذا الكنز ليس سوى بعض الملابس والأحذية واللعب القديمة التي ليس لها قيمة الآن ، حينها وجدت الوقت مناسباً لأسأل عن مالك تلك الأشياء وهذه المرة أجابتني سيدتي بأنها هي مالكتها ! فسألتها إن كانت تخص ابنة لها فأجابتني بأنها لم تنجب ، فقد تزوجت في شبابها من رجل مات منذ سنوات أصبحت بعدها وحيدة ولم تُرزق بأطفال ، أما عن هذه الأشياء والمقتنيات فهي تخصها شخصياً ؛ فهذه الفساتين تحمل ذكريات لها مع والديها وأصدقائها ، والأزياء المدرسية بمختلف صفوفها التي تذكرها بمدرستها ومدرسيها وزميلاتها ، والأحذية التى كانت ترتديها ، وعرائسها ولعبها التى كانت تلعب بها ، وبعض الكتب والكراسات المدرسية وبعض الصور التى تجمعها بوالديها وأصدقائها وجيرانها ، وفوق كل هذا بعض الأفلام الكرتونية وبعض الأغانى والقصص التي تخص الأطفال. عرفت وقتها أن الأصوات التى كنت أسمعها كانت لهذه الأفلام الكرتونية التى تقوم سيدتي بتشغيلها أثناء وجودها بهذه الغرفة على جهاز تلفزيون موجود بالغرفة (كما قالت لى بنفسها) وقالت أيضاً إن هذه الغرفة هى الغرفة التى شهدت على طفولتها بما فيها من السرير الذي

كانت تنام فوقه والدولاب الذي يحوي ملابسها ومقتنياتها والمكتب الذي كانت تذاكر عليه فى دراستها .. كل ما بالغرفة كان شيئاً هاماً لها في صغرها ، والآن هو كل شيء لها في شيخوختها . كما أشارت . فقد قالت لي إن ذكرياتها تلك هي كل ما تبقى لها من حياتها الماضية وتاريخها وأن من يهمل تاريخه يخسر مستقبله ويفقد قيمة حياته بأكملها ، وأضافت أن هذه الأشياء قد تكون بلا قيمة في نظر الآخرين أما بالنسبة لها فهي كنز إذا فقدته فقدت تاريخها برائحته التى تنتشي باستنشاقها ، لذلك قد اعتادت أن تجلس وسط ذكرياتها تلك وتاريخها هذا على الأقل ساعتين يومياً فهي تود أن تفارق الدنيا وهى تحمل بداخلها عبير أيام طفولتها وذكرياتها الجميلة وتاريخها الخاص بها ، فهذا هو كل ما تطمع فيه تلك العجوز التى كانت طفلة صغيرة بالأمس.

لقد تأثرت بكلام سيدتي وأفكارها ؛ فوحدتها التى تعيشها جعلتها تعزل نفسها في زجاجة ذكرياتها وحيدة حزينة علها تجد فيها السلوى وتحميها من وحش الوحدة الذى يكاد يصل بالإنسان إلى حد الجنون وإن كان الجميع سيعتبرون تلك الذكريات والصور والسنين التى عاشتها بلا قيمة ، فهى تعتبرها كل شيء فى دنياها ؛ فهذه السيدة تحفظ فى تلك الغرفة كل ذكريات طفولتها وتعزل كل الأشياء الأخرى خارجها حتى ذكرياتها مع زوجها الراحل تجمعها فى غرفة نومها فهي سيدة منظمة للغاية ولا تحب خلط الأوراق والذكريات بعضها ببعض. ليتني أستطيع أن أعود بعمري إلى الوراء؛

لكنت فعلت كما فعلت هي واحتفظت بذكرياتي التي عبرت بها سنوات عمري السابقة، وجعلت لنفسي غرفة مغلقة أعود اليها كلما جذبني الحنين الى الماضي، فقد أقنعتني تلك السيدة بمقولة كنت أسمعها دائماً ولم أقدّرها قبل الآن وتلك المقولة هي "من ليس له تاريخ ليس له مستقبل " ، عزمت على أن أدّخر من الآن كل ذكرياتي القادمة لعلي أجمعها في يوم من الأيام بغرفة مغلقة ، ولتكن لي كنزاً حتى إن كان في أعين من حولي كنزاً بلا قيمة يكفي أن قيمته معي وبداخلي تملأ قلبي بالشجن والحنين كلما دخلت إلى غرفتي المغلقة.

...تمت...

الملكة

لطالما وقف بجوارنا هو وزوجته،فهو رجل صالح وزوجته أمحنون لكلٍ منا من أبناء المنطقة. واليوم هى فى المستشفى فى حالة وضع ، اليوم سيصل المولود الذى طالما حلمت به "أمنا الثانية" وحلم به زوجها من قبلها ، بل وكل سكان المنطقة أيضاً ؛فالجيران فى مثل هذه المناطق الشعبية يتعاملون كإخوة ؛فيهتم كل منهم لأمر الآخر ويقف بجانبه فى الضراء قبل السراء. وقد تعلمنا جميعاً من هذا الرجل الصالح وزوجته الكثير من الأخلاق الحميدة والصفات المجيدة .. تعلمنا معنى المحبة والرحمة والتآخي ،فقد عرفنا فيهما السماحة والصبر الذي يحير الكثيرين من الناس. فقد كان هذا الرجل وزوجته يتمنون طفلاً منذ أكثرمن عشر سنوات ولطالما ترددوا على الأطباء ليروا إن كان هناك مانع للإنجاب ، لكن الأطباء لم يجدوا لديهما أي

مانع طبي ولم يعرفوا سبباً واحداً لتأخر أو منع الحمل. مع ذلك لم ييأسوا من رحمة الله وعطفه في أن يعطيهم الطفل الذي يتمنون ويتمنونه لهم جيرانهم جميعاً ؛ فالجميع يعتبرونهما والديهما بالرغم من أن معظمنا لا يصغرهما سوى ببضع سنوات الا أن عطفهما الدائم علينا يجعلنا نشعر كأنهما والدانا بالفعل.

ظلت تلك السيدة الحنون والتى تدعى "هادية" تدعو الله هي وزوجها الرجل الصالح "كرم" أن يرزقهما طفلاً واحداً ليروا بعينيه ضحكة عمرهما وشروق شمسهما ، وكنا كلنا ندعو لهما بذلك بمن فينا الرجل البسيط "صالح" الذي كان يمشي هائماً في المنطقة يطلق البخور في منازلنا ومحلاتنا ويأخذ ما يقسمه له الله من نقود بسيطة أو لقيمات قليلة يسد بها جوعه ، وكثيراً ما كان الجيران جميعاً يعطفون عليه ويعطونه ما يستطيعون من طعامهم ليطعموه ، والغريب أنهم كانوا دائماً يريدون الاستماع إلى كلامه بل ويصدقون نبوءاته التى طالما كان يطلقها بأن هذا سيتزوج من تلك فيحدث ذلك بالفعل ، وأن تلك الحامل ستضع طفلين توأما فتضعهما وبأن الشاب الغائب منذ سنوات سيعود قريباً فيعود. وهكذا تعوّد الناس أن يستمعوا له وينتظروا ليتحقق كلامه، وذات ليلة طرق هذا الرجل "صالح" باب شقة الحاج "كرم" ففتحت له السيدة "هادية" فقال لها:

- مساء الخير يا أم الملكة

فتعجبت منه لأنه أول مرة يناديها بهذا اللقب فدائماً كان يناديها بـ"الست هادية".

فقالت له: تفضل يا "صالح" كنت أُجهز الطعام فتفضل لتأكل معنا

- لم آت لآكل فأنا لست جائعاً ؛لقد تناولت طعامي.
- حقاً؟! لا تخجل وادخل لتأكل معنا.
- لا لقد أطعمتني الملكة
- ملكة ؟!! ..في هذه الأيام ..إذاً من هي ملكتك هذه؟!
- ستأتي .. ستضعينها بعد أشهر
- أضعها ؟! أنا التي سأضعها؟!! أتعني أنني أحملها بداخلي الآن؟
- نعم .. وأنا سأنتظرها
- أتعني هذا حقاً؟!!
- نعم أعني هذا ولكن تذكري أنها ملكتى .. إنها الملكة.

انصرف "صالح" تاركاً السيدة "هادية" في حيرة من أمرها ، وحينما دخلت وقصت على زوجها ما حدث قال لها ألا تهتم أو تضع كلام "صالح" في اعتبارها، لكنها رفضت أن تستمع له وأخبرته أنها تصدق كل ما يقوله "صالح" وتصدق نبوءاته أيضاً فحاول الرجل إقناعها بصرف هذا الكلام من

بالها لكنه فشل في ذلك فلم يجد حلاً سوى أن يعرضها على الطبيب ليثبت لها عدم صحة كلام "صالح".

وبالفعل ذهبا معاً للطبيب ففحصها وأخبرهما أنها حامل بالفعل في جنين عمره شهران فتعجب الشيخ ووقعت زوجته أرضاً من أثر فرحتها وعندما استفاقت قالت لزوجها: ألم أقل لك إنني أثق بكلام "صالح" ؛ فهو رجل طيّب وباطنه نظيف كالأطفال والملائكة ، فتعجب الرجل وضرب كفاً بكف ثم بارك لزوجته حملها وفرحتها وأخذها إلى المنزل وعندما أذاع هذا الخبر بين سكان المنطقة فرح به الجميع وقاموا جميعاً بتهنئة السيدة "هادية". وحظت السيدة "هادية" بالاهتمام بكل ما يحمل من معنى من زوجها وجيرانها حتى حان موعد وضعها للمولود المنتظر ، ففي هذا اليوم صرخت السيدة "هادية" وتم نقلها إلى مستشفى الولادة ، ولكن لحظها العاثر كانت ولادتها صعبة جداً، وكانت حالتها خطرة، وحضر "صالح" هذا الموقف وظل، يطمئن الشيخ "كرم" وجيرانه قائلاً: لا تقلقوا ستأتى الملكة بعد قليل ..لاتقلقوا.

ودخل الطبيب إلى غرفة العمليات قلقاً ثم خرج بعد دقائق وطلب محادثة الزوج فذهب إليه الشيخ"كرم" وأطلعه الطبيب على الأمر بكل ما فيه من خطورة على زوجته وصرّح باضطراره الى أن يستأصل لها الرحم كي ينقذها هى وطفلها، فأسند الشيخ "كرم" ظهره إلى الحائط وأغمض عينيه

لثوانٍ ثم قال للطبيب : افعل ما تراه صائباً أيها الطبيب.. المهم عندي أن تنقذ زوجتى أولاً .. وتنقذ الطفل أيضاً إن أمكن ذلك.

فدخل الطبيب إلى غرفة العمليات مرة أخرى ليبدأ العملية وبالفعل خرج وطمأن جيرانهم وقال لهم إن السيدة "هادية" بخير وأنها وضعت طفلة جميلة ورقيقة الملامح فهب "صالح" واقفاً قائلاً: الملكة .. لقد جاءت الملكة.

وعندما أفاقت السيدة "هادية" وعلمت من زوجها أن الطبيب قد اضطر لاستئصال الرحم حزنت كثيراً لعدم قدرتها على الإنجاب ثانيةً ولكن زوجها خفف عنها الأمر قائلاً: ماذا بك يا "هادية" لقد حُرمنا منا الإنجاب لسنوات طوال وظللنا ندعو الله أن يرزقنا طفلاً واحداً وحينما يستجيب الله لنا ولدعواتنا نجحد فضله ونأبى أن نشكره على نعمته؟! ..اشكري ربك فقد رزقك طفلة لا مثيل لها ، وطلب من الممرضة أن تحضر الطفلة وأعطاها لزوجته لتراها فحينما وقعت عينا الأم على ابنتها انتابها شعور غريب بالفرحة والشجن في آنٍ واحد فسقطت دموعها وهي تضحك وتضم ابنتها وتشكره على نعمته تلك، ثم هدأت وتأملت ملامح طفلتها .. كم هي جميلة ورقيقة كحبات الندى فوق الورود فضحكت ثم التفتت إلى زوجها قائلة : إنها الملكة .. كما قال "صالح" .. فلنسمها "ملك" ما رأيك؟

- اسم جميل لفتاه جميلة إن شاء الله.

ضمت السيدة"هادية" ابنتها "ملك" إلى صدرها وعندما رأى جيرانها تلك الطفلة وقعوا في حبها جميعاً من النظرة الأولى لعينيها الجميلتين ،واللمسة الأولى ليدها الصغيرة الرقيقة ، والقبلة الأولى لخدها الناعم.

ومرت سنوات وكبرت "ملك" أو "الملكة" كما أطلق عليها جيرانها مقلدين "صالح" ، فقد كانت ملكة بالفعل؛ فهى بلا شك أجمل فتاة فى عمرها بالمنطقة كلها .. فهى مرحة، جميلة، رقيقة، صافية، نظرة عينيها الواسعتين بلونهما الأزرق تفتح أبواب قلبك لحبها، وابتسامة شفتيها الصغيرتين تبعد عن قلبك الهموم وتُدخل عليه البهجة ، ولمسة كفها الرقيق حينما تصافحها تجعلك تشعر بملمس الورود الجميلة بعبيرها الجذاب.

لم يتجاوز عمرها خمس سنوات لكنها أسرت قلوب الجميع فى تلك السنوات القليلة ، ولهذا استحقت عن جدارة ذلك اللقب الذي أصبحت تنادى به كثيراً .. لقب "الملكة" ؛ فهي فى منطقة سكنها ملكة الأطفال بل وملكة القلوب أيضاً، فقلب كل منَا يتعلق بها أكثر يوماً بعد يوم بمرحها، وضحكتها الجذَابة، وكلامها المعسول بلهجتها المتعثرة وحروفها الركيكة التى تخرج من بين شفتيها كحبات اللؤلؤ فالجميع .كبار وأطفال . يحبونها ويهبونها أغلى ما لديهم من هدايا ولعب ، ويدللونها كثيراً.

وكان أبوها فرحا بها كثيراً وأمها تكاد تطير فرحاً خاصة بعدما زاد طول شعرها فأصبحت تمشطه لها أولاً بأول وتقوم بعمل قصات مختلفة وجميلة له

وتلبسها أجمل الملابس التى تختارها لها بنفسها فتزيد من جمال مظهرها وهندامه فيضيف هذا إلى جاذبيتها.

ظلت الملكة "ملكة القلوب" تعتلي عرشها حتى جاء يوم بكت فيه تلك القلوب وسادها الحزن والصمت وامتلأت الأعين بالخوف والألم وجفت الابتسامة فوق الشفاه وتبدلت بالصمت والشرود؛ فقد وقعت "ملك" أرضاً صريعة المرض وحينما نقلت إلى المستشفى اكتشف الأطباء أنها تعاني من مرض القلب.

هذا القلب الصغير الذى لا يعرف سوى الحب والمرح أصبح مريضاً كيف ومتى؟! لا أحد يعلم. بكينا جميعاً على فرحتنا وضحكتنا الصغيرة، وصمت الأب حزناً لكن الأم هى حقاً من كانت تعانى من صدمتها الشديدة ؛ فهى عندما أنعم الله عليها بهذه الطفلة وعلمت أنها ستكن ابنتها الوحيدة وجدت فيها العزاء لنفسها ودعت ربها أن يحميها لها ويعوضها بها عن كل شيء ..وبالفعل ملأت عليها دنياها بهجة وسعادة ، لكنها الآن مهددة بضياع هذه البهجة وبسحب تلك السعادة من قلبها بتعرضها لفقد ابنتها الوحيدة وأملها الكبير، كنا جميعاً نشعر بالألم ويعتصر قلبنا حزناً، لذا لم نستطع الانتظار وذهبنا جميعاً إلى المستشفى خلف "ملك" ووالديها حتى "صالح" الذى تنبأ بمولدها منذ سنوات، وتنبأ أيضاً بتتويجها "ملكة" على عرش القلوب جاءهوأيضاً إلى المستشفى حزيناً عندما علم، رغم اعتقادي أن

أحداًلم يخبره فيبدو أنه قد شعر بهذا أيضاً. جاء وألقى نظرة على الوضع المتوتر ثم خرج ثانية.

استدعى الطبيب والد "ملك" الشيخ "كرم" وأخبره بأنه لابد من إجراء عملية جراحية دقيقة للملكة فوراً – محاولة لإنقاذ حياتها – ولم يُخفِ عنه دقة وخطورة العملية بل والأمل الضعيف أيضاً فى نجاحها ، لكنه طمأنه لوجود أشهر طبيب جرَاح مصري الآن بنفس المستشفى وأنه منتدب لهذا المستشفى لمدة ثلاثة أيام فقط بدأت من الأمس وأنه سيجعله يقوم بإجراء العملية لـ"ملك" اليوم إن أعطاه والدها الإذن بذلك الآن فاستجاب والدها بلهفة كبيرة وقال إن هذه فرصة كبيرة فبوجود هذا الجرَاح الشهير يزداد الأمل فى شفاء ابنته وطلب من الطبيب استدعاء الجرَاح فوراً إلى المستشفى ،وأدخلت الممرضات "ملك" إلى غرفة العمليات بعد تخديرها وبعد أن ودعتها أمها وبكت وهى تضمها وتقبل يديها الصغيرتين ،وظلت تبكي على صدر زوجها منذ بداية العملية، وحينها عاد "صالح" مرة أخرى وسأل عن حالة "الملكة" فأجابه أبوها قائلاً: خيراً إن شاء الله ، إن الله رؤوف رحيم ادع لها بالشفاء يا "صالح" ،وجرت الأم إلى "صالح" قائلة: ادع لها يا"صالح" ..ادع للملكة بالشفاء.. إنها ملكتك أتذكر؟ أتذكر يا صالح؟

نظر "صالح" إلى السيدة "هادية" وقبَّل يديها دامعاً ثم نظر إلى غرفة العمليات وصمت برهة قبل أن تنساب دموعه فوق خديه فى ألم وحرقة فسألته السيدة "هادية" بفزع : ماذا هناك يا صالح أتعرف شيئاً؟

فأطرق برأسه فى أسى فاستحلفته بالله أن يرد عليها فرفع رأسه فى حزن وقال لها: شبح الموت يحوم حول هذه الغرفة ، فصرخت الأم قائلة: ماذا تقول؟! ماذا تعني بأن شبح الموت يحوم حول غرفة العمليات التى بها ابنتى.. أتعني أنها ستموت؟؟!

أتعني أن فرحتى الوحيدة ستموت وتُسلب منى أمام عينى.. أجبنى يا صالح .. أجبنى يا صالح.

ظلت الأم تمسك بكتف صالح وتهزه بيديها مرات عديدة فردد العبارة ثانيةً دون أن يزيد عليها حرفا واحدا "شبح الموت يحوم حول هذه الغرفة" ثم نظر إلى عيني السيدة "هادية" مضيفاً كلمتين أخريين: "وسيدخل قريباً"

. "اصمت يا صالح لا تزد من همها"

قالها الشيخ "كرم" وهو يضم زوجته إلى صدره محاولاً تهدئتها فانهارت من البكاء أكثر وأكثر.

وكانت الدقائق تمر عليهم ثقيلة كالشهور الطوال بل وكان ما يضاعف ذلك ، تلك النبوءة التى تنبأ بها "صالح" والتى اقتنعت بها الأم . رغماً عنها . فلطالما صدقته وصدَقت نبوءاته تلك ؛ وما كان يجعلها تصدقه أنها دائماً

تحدث كما تنبأ بها ؛فلو كان قد أخطأ ولو لمرة واحدة لكانت شعرت بالراحة بعض الشيء.

ظلت الأم تدعو الله قائلة: يارب اشفِ ابنتي وأنقذها.. كذب نبوءة "صالح" هذه المرة.

كانت دائماً نبوءاته سعيدة يشتاق الناس لسماعها وتحقيقها ، ولكنها هذه المرة نبوءة مشؤومة لا تريد سماعها أبداً وتخشى تحقيقها.

ضمها زوجها ثانيةً ليطمئنها قائلاً: لا تقنطي من رحمة الله ، اطمئني إن الله سيحميها لنا بمشيئته ؛فقد أرسل لنا هذا الجرَاح الشهير كي يجري لها العملية ،فأنا أتابع أخباره دوماً فى الصحف ،أتعلمين أنه لم يفشل فى عملية واحدة حتى الآن ..كل عملية جراحية يجريها تحقق نجاحاً بإذن الله ، إنه جرَاح ماهر وسينقذ ابنتنا بأمر الله وفضله علينا.. اطمئني.

ظلت الأم متحيرة قلقة تنتظر لمحة أمل وهى مشتتة بين ما قاله زوجها من كلام مطمئن وبين ما قاله "صالح" من نبوءة تعيسة مشؤومة ، بين إيمانه بصدق نبوءاته وبين أملها فى أن تتعافى ابنتها وتضمها إليها مرة أخرى.

مرت ساعات والعملية لم تنته ولم يخرج أحد ليطمئن الأم ولم يطق "صالح" الانتظار فمشى باكياً ؛فقد أحب الملكة حباً كبيراً ولم يرد أن يسمع عنها شيئا سيئا فمضى باكياً فاقداً للأمل بعد إصراره على رؤية شبح الموت . كما قال هو . وظلت الأم تبكي وتدعو الله حتى فوجئت بباب غرفة

العمليات يفتح وتخرج منه الممرضة مسرعة تعبر الردهة التى توصل إلى غرفة الأطباء وتعود مهرولة بصحبة ثلاثة أطباء يهرولون خلفها وعلى وجوههم نظرة قلق وانزعاج كبيرين فاستوقفت السيدة"هادية" تلك الممرضة وسألتها :ماذا حدث؟

فأجابتها الممرضة :لا شيء

فلم تصدق الأم وظلت تقبل يد الممرضة لتخبرها بما حدث فقالت لها الممرضة: صدقيني يا أمى ابنتك بخير.. أستأذنك الآن.

وجرت مرة أخرى نحو غرفة العمليات ثم خرجت بعد ذلك ومعها زميلتها تجرَان تلك النقالة المتحركة التى تستخدم فى نقل المرضى وكانت "ملك" ممددة فوقها فهرولت الأم تصرخ: ملك .. ابنتى.

فقالت إحدى الممرضات: اطمئنى ..إنها بخير؛ لقد نجحت العملية ولا خطر عليها الآن.. حمداً لله على سلامتها.

قالت الأم بفرحة: أحقاً نجحت العملية؟ ..أتعني أن ابنتى بخير فعلاً؟

. نعم إنها بخير صدقيني.. وسننقلها الآن إلى غرفتها حتى تأخذ الرعاية الكافية حتى تصحبيها معك إلى المنزل قريباً.

. قريباً؟!

. نعم.. خلال أيام قلائل بإذن الله.

جرّت الممرضة تلك "النقالة" بمساعدة زميلتها الأخرى إلى الغرفة المختارة للملكة "ملك" ووضعتها بالسرير وطلبت من أهلها عدم إزعاجها فطلبت الأم أن تظل بجوارها وتعهدت بألا يزعجها أحد فسمحوا لها بذلك فشكرتهم وبكى الجميع من فرحتهم .. والدها وجيرانه كلهم وشكروا الله على إنقاذه لها .

أمّا عن "صالح" فقد كان صادقاً فى نبوءته هذه المرة أيضاً ؛ فبالفعل كان شبح الموت يحوم حول غرفة العمليات أثناء قيام الجرّاح الشهير بإجراء العملية الجراحية لـ"ملك" ، لكنه لم يكن يطاردها هى ،وإنما كان قد جاء ليقبض روحاً أخرى .. روح الجرّاح الشهير .. فبمجرد أن أتم العملية بنجاح على أكمل وجه ،وقبل أن يأمر بأخذ الطفلة "ملك" إلى غرفتها وقع أرضاً ، وعندما خرجت الممرضة منزعجة وأتت بالأطباء الثلاثة كان ذلك ليتأكدوا من أنه قد مات فعلاً وفارق دنياه.

رحمه الله.. لقد أتم عمله فى دنياه على أكمل وجه حتى آخر لحظة من عمره؛ فقد كان سبباً ووسيلة فى انقاذ تلك الطفلة البريئة وإرجاع البسمة إلى شفاه أهلها وجيرانها، وكان هذا هو آخر عمل له فى الدنيا وسيكافئه الله عليه.

وبهذا فإن "صالح" قد صدق أيضاً . كعادته . في نبوءته ،لكنها كانت تخص الطبيب لا تخص "الملكة"...تمت..

ثلاثة أخبار

جلست سيدة المنزل في غرفة المكتب وقلّبت بعض شرائط الفيديو ثم اختارت أحدها وأدارته في جهاز الفيديو وجلست لتشاهده باهتمام ؛ وكان الشريط يتضمن جلسة لإحدى الجمعيات النسائية تعرض مناقشة ساخنة لكيفية الحصول على بعض حقوق المرأة المهضومة والتى يظهر فيها الجديد دوماً، فكلما تحقق مطلب يظهر أمامه عشرة مطالب .. جلست السيدة تشاهد الشريط بعدما وضعت الجرائد التى كانت تحملها فوق المنضدة الصغيرة بجانب كوب العصير الذى اعتادت أن تشربه يومياً في هذا الوقت

وكانت تلك الجرائد بها أخبار وصور قد قامت السيدة بقصها وتنحيتها جانباً ، وهي بالتحديد ثلاثة أخبار مرفقة بصور أصحابها.

فأحدها خبر عن قضية فساد هامة تعرض أمام قاض عادل للنظر فيها وهذا القاضي من أشهر القضاة في بلادنا ويحظى بالكثير من الاحترام دائماً على صفحات الجرائد وبين جموع الشعب ، أما الخبر الثانى فهو عن طبيب ماهر قد تمكن من اكتشاف عقار جديد يعد علاجاً ساحراً لأحد أخطر الأمراض والذي سيساعد في شفاء الكثيرين من المرضى وينقذ حياتهم من أنيابه الشرسة والقاسية ، أما الخبر الثالث فهو عن مهندسة معمارية تمكنت من تنفيذ مشروع يعد من أهم المشروعات التجارية والإنسانية والاجتماعية في الوقت نفسه .. حيث إنها تمكنت من تنفيذ فكرتها الشخصية لبناء مجمعات سكنية كبرى لساكنى العشوائيات بتمويل من بعض رجال الأعمال المصريين المخلصين ، بالإضافة إلى إقامة مشروع تجاري وخدمي في آنٍ واحد.. كانت هذه الأخبار الثلاثة منشورة بتفاصيلها مرفقة بصور أصحابها مع إشادة بهم.

وكانت السيدة تقوم بقص تلك الأخبار والصور المرفقة بكل خبر وكأنها ستضمها إلى غيرها في لوحة شرف خاصة بها . وعندما أتمت قصها وضعتها فوق المنضدة الصغيرة التى أمامها وانتبهت كل الانتباه إلى تلك المحاضرة أوالمناقشة المنعقدة والمصورة بشريط الفيديو ، هذا وهى تستمع الى

كلماتها بكل اهتمام حتى مر تقريباً نصف وقت تلك المحاضرة فأمسكت بالصور المرفقة بالأخبار التى قامت بقصها وظلت تضحك ضحكات هادئة وهي تتذكر نفسها بالماضي كيف كانت تدافع عن حقوق المرأة بكل شراسة وقسوة حتى إنها كانت تخلط الأمور ببعضها فتخلط أوراق تلك الحرية بمعاداة الرجل لدرجة كبيرة حتى أطلق عليها "عدوة الرجل" ؛ فقد كانت متعصبة كل التعصب لهذه القضية ولكن تعصبها هذا هو ما جعلها تدخل كثيراً في مناقشات نارية مع شاب يتمتع بالذكاء والمرح وأيضاً برزانة العقل ، هذا الشاب الذى لم يمض على تخرجه من كليته وتعيينه كوكيل نيابة سوى بضعة أشهر فقط إلا أنه يشهد له بالذكاء والنزاهة وكأنه قضى مائة عام في عمله هذا ؛فهو بالفعل قد اكتسب خبرة كبيرة في شهور قليلة. هذا الشاب الذي لم تجذبه فتاة يوماً مهما كان قدْر جمالها ، جذبته تلك القطة الشرسة بآرائها القوية والجريئة ؛ ولأنه لا يسير سوى بالطرق المستقيمة تقدم لخطبتها ومع الوقت استطاع أن يبدّل بعض آرائها بالمعاملة الطيبة والثقة التى ولدت بينهما حتى تزوجا وأنجبا ولم يغير معاملته لها قط مما جعلها تتأكد من صحة اختيارها ومن فهمها الخاطئ . سابقاً . لطبيعة الرجل. ابتسمت السيدة وهي تضع الصور المرفقة بالأخبار بأحد الألبومات الخاصة بها والذي يضم غيرها من الأخبار والصور لنفس الأشخاص وهي تشكر الله وتقول لنفسها إنها لم ولن تندم على ما كانت عليه سابقاً من قسوة وعناد في معاملة الرجال والمناقشات الحادة في هذا لسبب واحد فقط .. هو أن كل

هذا كان السبب في أن تتزوج من ذلك القاضي العادل الشهير وتكون أماً لهذا الطبيب العالم وتلك المهندسة المجتهدة. ولتكون فرداً أو أحد أعمدة هذه الأسرة المشرفة صاحبة النجاح الباهر.

...تمت...

دموع فوق السحاب

جلس الطبيب الشهير في مقعده وربط حزام المقعد عندما أعادت مضيفة الطيران نداءها الأخير بربط الأحزمة لانطلاق الطائرة المصرية المتجهة إلى باريس، ثم انطلقت الطائرة مغادرة أرض مصر التى ينظر إليها الطبيب من خلال نافذته الزجاجية وعيناه تملؤهما الدموع، والحسرة تعتصر قلبه على ما به من سوء حظ –كما يسميه – ويراه الآخرون العكس ؛ فغالبية الناس– إن لم يكن جميعهم–يحسدونه على مركزه وشهرته التى وصل إليهما في الطب وعما يسمونه بالعالمية التى حققها والتى تتحدث عنها الجرائد المصرية والغربية يومياً. وضع الطبيب جسده محاولاً الاسترخاء على مقعده وأخذ يعيد شريط حياته وسنوات عمره السابقة أمام عينيه فرأى نفسه حين كان طالباً بكلية الطب وحوله أهله وأقاربه فقد كان يعيش مع والديه وإخوته الأصغر منه . فهو له أخ وأخت أصغر منه وله الكثير من الأقارب والجيران . لكنه رغم كل هذا دائماً منطوٍ على نفسه لا يفكر سوى بمذاكرته أثناء وجوده بالمنزل ولا يخرج من منزله إلا إذا طلب منه أحد أصدقائه الأثرياء الخروج معه للتنزه على حسابه ؛ فبالطبع كان ينتظر دائماً مثل هذه الخروجات الجميلة باهظة التكاليف والتى لا يدفع فيها قرشاً واحداً، لكنه رغم خروجاته الكثيرة تلك مع أصدقائه إلا أنه كان دائماً متفوقاً ويرى أمامه هدفاً مُصرا كل الإصرار على تحقيقه، فذاكر وأنهى دراسته في الكلية بتفوق

ثم سافر للخارج حتى يكمل دراسته ،وليستفيد أكثر بما لديهم من علم وتكنولوجيا وتطور في مجال الطب الذي يدخله الجديد كل لحظة بل والحرية المنشودة للأبحاث –كما سمع هو – وكان قد أقنع والديه بصعوبة بالغة كي يوافقاه على سفره، وافق والداه على سفره على أنه سيعود بمجرد إنهاء فترة دراسته تلك حتى يكون موجوداً بين أهله وإخوته الذين يحبونه كثيرا. اجتهد الطبيب أكثر وأكثر وكلما يزداد نجاحه تطول مدة سفره أكثر حتى اعتاد على وحدته في غربته وتناسى أهله لدرجة أنه لم يحاول أن يعود عندما وصلته الأخبار عن تدهور حالة أبيه الصحية وحتى عندما علم بموته لم يقطع رحلة سفره تلك ليحضر جنازته ولا حتى ليواسي أمه وإخوته ويقف بجوارهم في تلك الفترة. وتوالت الأحداث وعلم بزواج إخوته الشاب والشابة ولم يحضر زفافهما واكتفى ببرقية تهنئة بعث بها إليهما مع بعض الهدايا، وعلم أيضاً بنبأ وفاة والدته ورغم حزنه العميق عليها إلا أنه لم يحضر جنازتها أيضاً . ومرت الأيام والسنون وازداد بُعده وابتعاده وظل كما هو من بحث لآخر ومن مستشفى لأشهر ومن مؤتمر لأكبر حتى أصبح من أكبر وأشهر أطباء العالم. وفي أحد الأيام كان يعالج مريضاً في مشفاه من مرض خطير ووجد أحد الأشخاص يبكي بكاءً حارا وعندما سأله عن سبب بكائه علم منه أنه شقيق المريض الأصغر وأن شقيقه الأكبرهذا هو من اهتم بتربيته واعتنى به حتى صار رجلاً وأنه يعتبره كل شيء بحياته لذلك هو يخشى عليه من المرض والموت ويخشى على نفسه من قسوة الوحدة في بلد أجنبي غريب عنه أو حتى بعد رجوعه لوطنه . فهو من بلد عربي جاء منه

مع أخيه إلى باريس كي يخضع أخوه لعملية جراحية . قال الشاب هذا الكلام للطبيب وهو ينظر إلى عينيه مباشرة وكأنه يوجه كلامه إليه هو. تأثر الطبيب بدموع الشاب وطمأنه على حالة أخيه، ولكن هذا الموقف ترك بداخله أثراً كبيراً لم يستطع إخفاءه فقد أشعل نار الحنين بداخل القلب الذي أظلمته سكنة القسوة لسنوات طوال فقد أحس بشوق مفاجئ تجاه عائلته وأهله وجيرانه فقرر أن يعود لأهله ولو في إجازة صغيرة حتى يتدبر أمره بوقت أكبر.. وبالفعل عاد إلى مصر وقابله إخوته بالمطار فبالكاد تعرف عليهم وأخذوه إلى منزل أخيه واحتفلوا به جميعاً.. أخوه وزوجته وأبناؤه الصغار وأيضاً أخته وزوجها وأبناؤهم وبعض الجيران القدامى الذين يعتبرون أصدقاء العائلة منذ سنوات وبعد انتهاء الاحتفال انصرف كل منهم إلى عمله وحياته وبقى هو وحيداً لايدرى ماذا يفعل فجلس وحيداً ينظر حوله ويتذكر أيام صباه وشبابه وفي النهاية عزم على أن يزور قبر أبيه وأمه وبالفعل ذهب وأحس حينها فقط كم كان مقصراً في حقهما حينما تركهما ومنعه طموحه من العوده إليهما حتى لإلقاء نظرة الوداع عليهما . جلس يبكي ويطلب منهما المغفرة ثم عاد في الليل إلى منزل أخيه فشعر بالوحدة مرة أخرى فذهب إلى منزل أخته فشعر بنفس الوحدة بالإضافة إلى أن زوجها لم يظهر عليه مظاهر الترحيب به فقرر أن يعود من حيث أتى وبالفعل أعلن هذا القرار فلم يجد من يطلب منه إلغاء قراره أو حتى معاودة النظر فيه ، فزاد هذا من حزنه فقام بالتنفيذ على الفور وحجز تذكرته وودّع أهله وذهب الى المطار وعندما استرجع بذاكرته كل هذه الأحداث . وهو مستقر في مقعده . كأنها شريط

سينمائي يدور أمام عينيه فعرف أنه هو المخطئ، فكبر طموحه الزائد عن اللازم حرمه من أشياء كثيرة أهم، فقد حرمه في البداية من وجوده بين عائلته وحرمه بعد ذلك من صنع عائلته الخاصة به كإخوته ؛ فقد نسي نفسه في دوامة أعماله ونسي حتى أن يتزوج وينجب ونسي أيضاً لمن كان يفعل كل هذا .. نسي لمن يجمع المال ؟.. ولمن يحصد الشهرة والعالمية !.. ولمن سيترك ثمرة سنوات حياته!! .. أحس حينها فقط كم كان مخطئاً عندما جرى وراء طموحه وأحلامه دون أن يحسب خسارته وترك وراءه أهله ومصدر سعادته وعرف أن ما حققه شيء كبير وغال.. نعم غال لدرجة أن الثمن الذي دفعه ومازال يدفعه أكبر بكثير من قيمة هذا النجاح الزائف. ترقرقت دمعة في عينيه ثم نزلت على خده فمسحها بيديه فتلتها دموع كثيرة فانتظر حتى تمالك نفسه ومسح بقايا دموعه. ثم أخرج نوتة ملاحظاته وفتح صفحة خالية وأمسك بقلمه وكتب بصدق :

حلمت يوما أنى أطير لبعيد

وحلمت أسكن أحلى قصر جديد

وصحيت في يوم على حقيقة مُرة

فضلت أحلم وسيبت نفسي وحيد.

...تمت...

زواج صالونات

كم هي جميلة تلك الفتاة التى جاءت مع أهلها لتسكن أمامى بالشقة المقابلة لشقتنا.. لقد أخذنى هدوءها وكلامها الطيب مع جيرانها أثناء إلقاء التحية عليهم ،فهى لا تتحدث كثيراً لكنها إذا رأت أحداً من جيرانها . صدفةً . حتى ولو لم تعرفه مسبقاً تلقي عليه التحية مع ابتسامة بريئة ورقيقة تنم عن أخلاق عالية وشخصية سمحة.علمت من والدتى أنها الابنة الوحيدة لأبويها . مثلى تماماً . وأنهما قد قاما بتربيتها على الأخلاق الحميدة والذوق الرفيع ، وأنهما أيضاً ينفذان لها كل رغباتها ؛ فهى بأي حال ليست مدللة .كما يرون . ولا تطالب بشيء إلا إذا كانت تعلم جيداً أنها تستحقه بالفعل؛ فهى لا تطلب مكافأة ما إلا إذا أنجزت عملاً يستحق تلك المكافأة .كتفوقها فى دراستها مثلاً . فقد علمت أنها فى مثل سني تقريباً وتدرس بالثانوية العامة . مثلي تماماً . وأنها كانت تدرس فى مدرسة تابعة للمحافظة التى كانوا يسكنون بها من قبل ولكني أعتقد أن والدها سوف يقوم بنقلها إلى مدرسة أخرى قريبة من سكنهم الحالي، وهى بأي حال قد أنهت امتحاناتها للصف الثانى الثانوى وهي الأن فى انتظار نتيجة الامتحانات كما أنتظر أنا أيضاً نتيجة امتحاناتى لنفس الصف. لا أنكر أنني قد أعجبت بها وبكل شيء فيها :ابتسامتها ،رقتها،أخلاقها كما أتمنى أن أُصادقها؛ فأنا ليس لديّ أصدقاء

مقرّبون ، وحقيقة لو كنت أنا شاباً لكنت اخترتها لتكن قصة حبي، ولكننى فتاة مثلها لذا أتمنى مصادقتها.

مرت أيام ظهرت بعدها نتيجة الامتحانات وعلمت بخبر نجاحي وانتقالي إلى الصف الثالث الثانوي وكان مجموعِ الدرجات الإجمالى التى حصلت عليها جيداً ففرح أبي ووزعت أمي الحلوى على سكان العمارة بالكامل وفوجئتُ بوالد تلك الفتاة ووالدتها أمامي بالمنزل يهنئونني بنجاحي ، وبطريقة تلقائية سألتُ عنها والدتها وعن نتيجتها فقالت لي إنها بخير ولكنها لم تعرف نتيجتها بعد ، فقد أخبرها والدها أنه سيمر بالمدرسة غداً كي يسأل عن نتيجتها ويطمئن عليها ، وكانت هي تريد الذهاب ولكن والدها خشي عليها من طول المسافة من هنا الى مدرستها وهى الآن تنتظر الغد على أحر من الجمر. شعرت وقتها أن هذا هو أنسب وقت لأتعرّف عليها عن قرب فاستأذنت والدتى ووالدتها في أن أذهب إليها بحجة أن أعطيها بنفسي طبق الحلوى الخاص بها فأذنت لى والدتي وأعطتني طبقا خاصا لها فأخذته وذهبت إليها وقمت بدق الجرس فخرجت لي بوجهها البشوش قائلة :

"هبة" !! أهلاً بكِ ..تفضلي.

. شكراً لكِ يا "هيام" لم أكن أعلم أنكِ تعرفين اسمي.

. بلى يا "هبة" أعرفه ولكن لم تأتِ الفرصة لأحدثكِ من قبل ..آه.. كدت أنسى أن أهنئكِ على نجاحك.

. أشكرك.. ولو أنني كنت أتمنى أن أسمعها منكِ فى منزلي مع والديكِ.

. أعتذر منكِ فقد كنتُ أجهل كيف ستقابلينني ،فقد تعتبرينني متطفلة عليكِ.

. متطفلة ؟! بالطبع لا فقد كنت أنتظر الفرصة كي ألتقيك وأتحدّث معكِ.. فمنذ أن رأيتكِ وأنا أتمنى أن نصبح صديقتين.

. حقاً؟ وأنا أيضاً ؛ فقد تركتُ منطقتي بأكملها ،ومدرستي، وكل من أعرفهم هناك وجئتُ إلى هنا لا أعلم لي جارة أو صديقة ، فأنتِ بهذا ستخرجينني من هذه العزلة.

. إذاً فأنتِ من الآن صديقتي المفضلة.

. اتفقنا.

وهكذا بدأت بكل بساطة صداقتى بـ"هيام" وفي اليوم التالي علمتُ أن أباها قد ذهب ليسأل عن نتيجتها وعرف بأنها نجحت وبمجموع درجات أكبر من مجموع درجاتى ففرحت جداً وذهبتُ إليها لأهنئها ..وتوالت زياراتنا لبعضنا بعد ذلك حتى أصبحنا نعلم كل شيء عن بعضنا من شدة قُربنا وترابطنا . وبالفعل نقل والدها أوراقها إلى مدرستي وأصبحت أرافقها فيي البيت والمدرسة بل وللمصادفة في نفس الفصل أيضاً وكم أسعدنى ذلك ؛ فقد كنّا نذاكر معا وكنا ننتظر حضور حصة الرسم معاً ؛ فقد كنا نحب الرسم

جداً حتى إننا إذا كان لدينا وقت أو حصة ألعاب ذهبنا إلى معلّمة الرسم وجلسنا معها لنرسم معا فقد كانت هذه المعلمة قريبة من قلبينا.

وذات يوم كنّا نمزح أنا و"هيام" مع معلمتنا تلك وأخذنا الكلام عن تحضيرها لزواجها بخطيبها فسألت المعلمة كلا منا عن مواصفات فتى أحلامها فقلت أنا أنني أتمنى أن يكون فتى أحلامي وسيماً وذا ملامح جميلة ، أما "هيام" فقد سكتت وحينما أصررنا أنا والمُعلمة أن تجيبنا وصفت وصفاً دقيقاً للشاب الذي تحلم به فتاً لها فتعجبت المعلمة لوصفها الدقيق وسألتها إن كانت تعرف بالفعل شاباً بهذه المواصفات أو قابلته ولو لمرة واحدة فنفت "هيام" ذلك وقالت إنها لم يسبق لها أن رأت شاباً بهذه المواصفات فطلبت المعلمة منها أن تعيد لها نفس الوصف بنفس الدقة وعرضت عليها أن ترسم صورة بتلك المواصفات كنوع من المرح والمزاح فوافقت "هيام" وبدأت بالفعل فى إعادة وصفها وبدأت المعلمة بدورها تعبر عن هذا الوصف برسمها حتى أنهت "هيام" وصفها وحان الوقت لمزيد من المرح لنرى الصورة التى تكوّنت من وصفها الخيالي لهذا الفتى المجهول، وأمسكنا باللوحة ونظرنا إليها فإذا بـ "هيام" تفتح عينيها عن آخرهما باندهاش وتقف بعيداً ، أما أنا فوقفتُ أنظر في تعجب ؛ فسبحان الله كانت الصورة لشخص في غاية الوسامة . يشبه أبطال السينما ذوي الوسامة . صورة كاملة لشخصية كاملة الحياة ، كأنه كان أمامنا حينما رسمته المعلمة . وسألت المعلمة

"هيام" عن رأيها فقالت "هيام" : هذا هو فتى أحلامي .. تُرى هل سأجده يوماً ما؟!

وسألت "هيام" المعلمة إن كان بإمكانها أن تحتفظ بالصورة فقبلت المعلمة وأهدتها لها . ومرت الأيام وأتممنا امتحاناتنا وظهرت نتائجها ونجحت أنا و"هيام" بمجموع كبير وكانت "هيام" هذه المرة تسبقني بدرجات قليلة ؛ فقد رفعت من مستواي معها . أعترف بهذا . المهم أننا التحقنا معاً بنفس الكلية واجتزنا السنة الأولى ثم الثانية وعندما وصلنا للسنة الثالثة تمت خطبتي على ابن عمي فى إجازة نصف العام؛ فقد كان هو فتى أحلامي وللأمانة . كانت بيننا قصة حب منذ الطفولة ولكن لم يعرف بها سوى أمي و "هيام" التى فرحت كثيراً من أجلي ووقفت معي بكل شيء في هذا اليوم .. وطيلة هذه السنوات كانت "هيام" ترفض جميع من يتقدمون لخطبتها وأغلبهم كانوا يتقدمون لها بالطريقة التقليدية . كما تسميها هي . فهي لا تعرف أيًا منهم وقد يكونون هم أيضاً لا يعرفونها وإنما سمعوا عنها بأنها قد تناسبهم فأتوا إليها ؛فكانت "هيام" تطلق على هذه الطريقة في الزواج "زواج صالونات" . كما يعرف لدى البعض . وقد كانت ترفض دائماً هذا الزواج بالرغم من كثرة عرضه عليها من قبل الكثيرين حتى إنها أصبحت ترفضهم دون حتى مقابلتهم فحينما تعلم أن شخصاً قد جاء يتقدّم لخطبتها ترفض أن تراه أو تجلس إليه وتستمع إلى كلامه فكانت تقول لنفسها إنها بذلك توفر العناء على نفسها فهي بأي حال لن تقبل الزواج بهذه الطريقة.

وفي أحد الأيام حدث شيء ما أصبحت هي معتادة عليه، فقد تقدّم لها شاب آخر ولكنها . كعادتها . رفضت أن تقابله وأبلغت أباها بالرفض لكنه جلس مع الشاب وأُعجب بشخصيته كلياً بل وتمنى أن يكن مثل هذا الرجل صهراً له فدخل بنفسه إلى ابنته يطلب منها أن تأتي لتراه وتتحدث معه فاعتذرت لأبيها وأصرّت على موقفها ، وعندما فقد فيها الأمل تركها وذهب إلى الشاب واعتذر له لعدم مقابلة ابنته له مختلقاً عذراً قائلاً إن ابنته متعبة بعض الشيء وأنها لم يكن لديها خبر بزيارته اليوم، لذلك فهي تبلغه اعتذارها فتفهّم الشاب الموقف وقال للأب إنه سيعوض هذه الزيارة بزيارة أخرى قريباً واستأذن بالانصراف فأذن له الأب آسفاً ، حاول الأب إقناع ابنته بهذا الشاب بمواصفاته الحسنة التى رآها هو بنفسه فيه واستشفها من كلامه وتصرفاته أثناء هذه الزيارة، لكن "هيام" أكّدت رفضها مرة أخرى للمبدأ نفسه ؛فهي ترفض بشدة أن تتزوج بطريقة "زواج الصالونات" كما تطلق عليها دائماً . وعندما تحدث أبوها مع أمها طلبت منه الأم أن يتركها الآن وهي ستتحدث معها بنفسها لاحقاً وعندما تتمكن من إقناعها ستبلغه ليقوم بدوره بدعوة الشاب مرة أخرى ، وطلبتني والدتها فذهبت إليها فطلبت مني التحدث مع "هيام" لمعرفة المشكلة الحقيقية وراء كل هذا الإصرار على رفض الزواج وإقناعها بأن تقبل . على الأقل . مقابلة الشاب ولو مقابلة عابرة .. وبالفعل جلست مع "هيام" وسألتها عن السبب فوقفت لحظات ثم

فتحت دولابها الخاص وأخرجت شيئاً مغلفاً بورق الهدايا قائلة : هذا هو السبب.

اندهشت منها وقلت في نفسي متسائلة :تُرى ما هذا الشيء الذي يجعل "هيام" تصر على موقفها كل هذا الإصرار؟ .. ثم أخذت منها هذا الشيء الملفوف وقمت بفتحه وما إن رأيت محتواه حتى وقفت مذهولة وخرجت من حلقي شهقة رغماً عنى ثم سألتها باستنكار: ما معنى هذا؟!

نظرت إليّ "هيام" وبكت ورأيت دموعها كاللؤلؤ فوق خديها، وهذه المرة الأولى التى أراها تبكي فيها أمامي طوال السنوات الماضية فأنا أعلم أن دموعها لديها أغلى من أن تريها لأي شخص ، فضممتها إلى صدري كمحاولة لتهدئتها وأنا لازلت في حيرة من أمري وأمر هذا الشيء الذي لم أتوقع أن أراه مرة أخرى أمامي بعد مرور هذه السنوات؛ فهذا الشيء ما كان إلا اللوحة التي رسمتها لها معلمة الرسم منذ سنوات حينما كنا نمزح ونتحدّث عن فارس أحلام كل منا .

بعدما هدأت "هيام" تماماً قالت لي: أعلم أن هذا يبدو جنونياً لكنني سأصارحك بما في قلبي علّكِ تفهمينني وتقدّرين ما أنا فيه من حيرة وعذاب .. منذ أن رُسمتْ هذه الصورة وأنا أحلم بهذا الشاب وأرى فيه رفيق حياتي القادمة ولم أتخيّل يوماً أن أُقابل من يعوضني عن أحلامي به لذلك أنا أرفض كل من يتقدّمون لخطبتي.

قلت لها: لكنك كنتِ تقولين إنك ترفضينهم لرفضك مبدأ الارتباط بطريقة "زواج الصالونات"!

. أنا بالفعل أرفض الزواج بهذه الطريقة ولن أقبل بها يوماً، لكنني . وهذا سر بيننا . منذ أن حصلتُ على هذه الصورة التى جسّدت خيالي أمامي وأنا أنظر حولي في الشارعِ ، في الجامعة، في كل مكان أذهب إليه وأدقق النظر فيمن حولي بحثاً عن هذه الملامح والمواصفات التى ملأت عليّ حياتي لكن دون جدوى.

. حقاً؟! ..ما هذا الذي تقولينه يا "هيام" هذا هو الجنون بعينه ، ثم فرضاً أنك قابلتي هذا الشاب الذي تشغل مواصفاته خيالك وحدك يمر بالشارعِ ماذا ستفعلين ؟! تركضين نحوه وتقصين عليه قصتك أم ستطلبين منه أن يتزوج بكِ ؟! .. لا يا صديقتي وأختي الحبيبة ، لا تجعلى الخيال يجني على واقعك ، ثم إنكِ من الممكن أن تجدي مثل هذا الشاب في شكله وملامحه ، لكن أنى لكِ أن تتأكدي أنه يناسبك في صفاته وأخلاقه ؟.. عزيزتي لاتنساقي وراء تخيلاتك .. إننى أدعوكِ لأرض الواقع ، فرجاء اهبطي إليها وانظري حولكِ.. إن والديكِ قد بدءا يقلقان عليك ويريدان أن يفرحا بكِ.

عادت "هيام" للبكاء ثانيةً حينما سمعت مني هذا الكلام وقالت لي إنها لا تقصد أبداً أن تضايق والديها أو أياً ممن حولها فقلت لها : إن كانت هذه

هي الحقيقة فأريحيهم وانزلي إلى واقعهم واقبلي أن تري ذلك الشاب الذي تقدّم لكِ وتحدّثي معه.

. لا .. لن أغير مبدأي .. ولن أرتبط بهذه الطريقة.

. إذاً قابليه فقط وحينها سيكون لديكِ الخيار فقد تجدين سبباً للرفض.. سببا حقيقيا دون الخيال .. أرجوكِ.

. فليكن.. فقط لأريحك أنت ووالديّ ..سأقابله.. لكن اعلمي هذا سلفاً ..سأرفضه مهما كان سأبحث عن أي عيب فيه وأمحور المشكلة حوله ، بالتأكيد سأجد فيه الكثير من العيوب ؛ فبأي حال لا يوجد منَا شخص بلا عيوب.

ضحكتُ من قلبي ووافقتها الرأي كي أريحها وبلّغتُ والدتها بموافقتها على مقابلة الشاب، وبالفعل حدد والدها موعدا آخر وحضر الشاب وكنت أنا مع "هيام"فى هذا اليوم وكانت في قمة ضجرها فهدأتها وأخبرتها أن أحداً لن يجبرها على الزواج، ولأخفف من حدة التوتر لديها طلبت من والدها أن يتركها بمفردها تدخل الحجرة على الشاب فى غير وجود سواهما حتى نترك لهما فرصة التعارف دون حرج، وبالفعل وافقنى الرأي، وأعطتها أمها كوبين من العصير على طبق التقديم وطلبت منها إدخالهما إلى الغرفة ، وبالفعل أخذتهما "هيام" من والدتها وقبل أن تدخل الغرفة نظرت اليّ نظرة تنم عن غيظها الشديد تركت لديّ شعورا ما بأن الشاب الذي بداخل الغرفة سيخرج

بعد دقائق محمولاً فوق النقالة التي يستعملونها فى المشفى لنقل المصابين، أو أن "هيام" . في أحسن الأحوال . ستخرج بعد خمس دقائق فقط وتبلغنا برفضها وتذكر السبب الملفق كما قالت لي.وقفت أمام الغرفة ونظرت في ساعتي وبدأت في حساب وعد الخمس دقائق .. مرت دقيقة .. دقيقتان .. ثلاث .. أربع .. خمس دقائق، ونظرت إلى الباب فلم يفتح فنظرت إلى ساعتى مرة أخرى وواصلت العد وأنا أنقل عينيَ بين باب الغرفة وساعة يدي حتى مرت نصف ساعة كاملة وأنا على هذه الحال ، لا أعرف لمَ انتابني القلق فطلبت من عمي أن ندخل إليهما.. وبالفعل دخلنا جميعاً أنا ووالد "هيام" ووالدتها بعد أن قرعنا الباب فوجدناها جالسة بالقرب منه على مقعد بجوار مقعده وتنظر إليه بابتسامة جميلة لم أر مثل جمالها على شفتيها من قبل ؛ فهي تستمع إلى كلماته باهتمام وتنظر له فى استمتاع حتى عندما دخلنا الغرفة لم تحوّل بصرها إلينا وكأنها لم تشعر بشيء من الدنيا سوى وجوده بجوارها فنظرت إلى الشاب الذي لم أره من قبل علّي أجد تفسيراً للغز الذي أراه أمامي من صمتها والجو الغامض الذي لم أفهمه وبمجرد وقوع عينيّ على الشاب انطلقت من حلقي شهقة فنظروا جميعاً إليّ فاعتذرت "هيام" بالنيابة عنى وخرجت بي من الغرفة إلى غرفة نومها سريعاً فوقفت أنظر إليها برهة في ذهول ثم قلت لها : أهذا حقيقي؟!!

ـ نعم .. أرأيتي.. إنه نفس الشاب الذي لديّ صورته ..فارس أحلامي الذي أصبح واقعيا.

. عجباً!!

. لا تتعجبي.. لقد دخلت الغرفة وأنا أنوي خروجي منها بعد بضع دقائق لكننى ألقيت التحية ووضعت كوبي العصير دون أن أنظر إليه ثم سمعت صوته يرد التحية أحسست صوته مألوفاً بالنسبة لي ،خيّل إليّ أننى سمعته من قبل فنظرت إليه فوجدته هو نفس الشاب وبنفس الملامح التى حفظتها عن ظهر قلب، فابتسمت بدهشة وتجمّدت في مكاني للحظة ثم جلست فبدأ يقص عليّ ويخبرني بأنه يحبني منذ أكثر من عامين وأنه حينما تمكن أخيراً من أن يتقدّم لخطبتي فعل هذا ، لكننى اعتذرت عن مقابلته المرة السابقة . لسوء حظي . وحينما اتصل به أبي جاء مسرعاً قبل موعده بساعة كاملة لأنه مشتاق لأن يقابلنى ويتحدث معي فقد تأخر لقاؤنا عامين كاملين . في نظره هو . أما فى نظري أنا فقد تأخر أعواماً كثر، وحينما تكلمت معه تأكدت أنه هو ..وهو وحده من يمكنني أن أرتبط به.

. يا إلهى ..لولا أنني رأيته بنفسي ورأيت من قبل صورته التى رسمتها أمامي المعلمة من وصفك له وعرفت القصة كاملة لما كنت صدّقت كل هذا..وأنتِ كنتِ ترفضين الزواج بطريقة "زواج الصالونات" كما كنتِ تقولين عنه دائماً أمّا الآن فإنك ستوافقين!!

. نعم سأوافق لأنه أتى إليّ بفتى أحلامي الذي انتظرته أعواماً وبحثت عنه كثيراً.

نادت أمها عليها فأذنت لها بالذهاب حتى تتمكن من الجلوس مع فارسها وقتا أطول. وقفت أتأمل تلك المعجزة العاطفية التى حدثت والتى كنت شاهدة عليها بنفسي .. وسأظل أنا الشاهدة الوحيدة عليها؛ فأنا لم أخبر أحداً بذلك وأعتقد أن "هيام" أيضاً لم تخبر أحداً ،وسيظل هذا السر بيننا.. أنا وصديقتي الغالية ..سر الوصف ، وسر الصورة ، وسر موافقتها على الزواج رغم أنه .."زواج صالونات".

...تمت...

الشارع المزدحم

كنت قد تعودت أن أسير في هذا الشارع المزدحم كل يوم ، وأن أرى الناس فيه قد اعتادت علي الصدام وقد اقتربت من الالتصاق بعضها ببعض من شدة الزحام ولكني اليوم بمجرد أن هبطت إلى الشارع فوجئت بمفاجأة لم أتوقعها يوماً..وجدتني بمفردي... وحدي بالشارع دون زحام، ودون ضوضاء، ودون الناس التي تعودت أن أراها في كل مكان، وكأني ولدت وحيداً في هذا العالم، وكأن عصر "آدم" قد عاد من جديد.."آدم" وحده دون أبٍ ، أو أمٍ ، أو أخٍ، أو أختٍ وحتى دون "حواء" شريكة حياته ورفيقة طريقه .. لم تكن معي .. وجدت نفسي بمفردي.اندهشت جداً ، ولكن ما جعلني أندهش أكثر، بل وأخاف أيضاً هو ما حدث بعد ذلك .. فبمجرد أن هبطت من منزلي الكائن بالعمارة الكبيرة ـ فالعمارة التي أسكن بها هي أكبر عمارة بالشارع فهذا الشارع لا تتعدى عدد طوابق أو أدوار عماراته ستة أدوار فقط ؛لأنه شارع بسيط رغم زحامه ، أما العمارة التي أسكن بها فهي مكونة من تسعة أدوار. المهم أنني بمجرد أن نزلت إلى الشارع اختفت العمارة تماماً وكأنها لم تكن موجودة من قبل ، بل و تبعتها العمارات الأخرى بالاختفاء . وعادت أرض الشارع خالية كحالها قبل تشييد العمارات والمنازل التي كانت بها . صُعقت مما حدث وما كان يزيد من خوفي وحيرتي أنني

وحدي لم أر مخلوقاً واحداً لأسأله الجواب والمعرفة .. فقد اختفى كل شئ: الناس والمنازل والعمارات والسيارات .. كل ما يوحي بوجود أحد معي في العالم كله .. اختفى .. ولماذا ؟!! لاأعلم. دارت في رأسي الكثير من التساؤلات : ماذا حدث ؟ وأين الناس؟ ولماذا اختفت العمارة ؟! ولكنى لم أجد من يجيبني أو حتى يهدئ من روعي بوجوده معي. وفجأة ازداد خوفي إذ خطر لى خاطر مفزع فقد توقعت أن يخرج لي وحش.. نعم وحش مخيف وجبار، وأن يتضح لي أن هذا الوحش هو من ابتلع كل هذا.. هو من ابتلع منزلي و جيراني، والناس الذين كانوا بالشارع ، والسيارات، والعمارات؛ هو حل اللغز الذي لم أستطع حتى تصديقه. ولكنى لم أر هذا الوحش إلا في خيالي؛ فقد كان وحشالخوف والقلق من الآتى..وسألت نفسى : تُرى ماذا سيحدث بعد ذلك؟؟!

فوجدت عقلي لا يريد الجواب، نعم يرفض الجواب؛ فأدركت أن الخطر أصبح أكبر من أن أبوح به لنفسي. سرت في الشارع وحدي أترقب قدري. سرت وسرت قاصداً آخر الشارع ، وإن كان لم يعد يظهر له آخر.. ولا حتى أي معالم بعدما اختفى منه كل شئ كان يحدد ملامحه. فسرت حتى توقفت قدمي من التعب. وظننت أنني قد عجزت عن التفكير فقد شُل عقلي وأحسست أن قلبي قد توقف عن النبض.ناديت .. ولكن لم يسمعني أحد فعاودت النداء مرة أُخرى ولكن دون جدوى،صرخت مراراً ولكن أيضاً دون جدوى ، خفت أكثر وأحسست أنى أسمع دقات قلبي بداخلي وهى

تتلاحق بسرعة كبيرة من شدة الخوف فناديت لآخر مرة بصوتٍ مرتعش فلم يجبني سوى الصمت الرهيب فانهارت بقية أعصابي فبكيت.. بكيت بحرقة وألم.. سقطت دموعي على خديّ ..أفاقتني.. قمت مفزوعاً وجدت نفسي على فراشي وحدي أتقلب باضطراب، ظللت أغمض عينيّ وأفتحها إلى أن تأكدتأنني مستيقظ بالفعل فقمت بسرعة.. وهرولت وأنا أنوي أن أفتح الشبّاك لأُطل منه على الشارع؛ ولكني تذكرت أنني للأسف من سكان الشقق التي لا تطل على الشارع!!فسكان الطبقة الفقيرة مثلي تكون شققهم في هذه العمارة دون شبابيك أو "بلكونات" تطل على الشارع. وهى أيضاً ليست شقة بالمعنى المفهوم وإنما هي في حقيقة الأمرغرفة صغيرة من هنا، وأخرى صغيرة من هناك أصبحت شقة تسكنولكن بلا شباك أو" بلكونة".والشباك الوحيد الذي من الممكن أن تجده فيها لا يُطل على الشارع وإنما يُطل على منورصغير لا يُرى ما به من شدة الظلام، فهبطت السلم بسرعةقافزاً فوق درجاته وأنا مرتدٍ "بيجامتي" فلم أُطق صبراً حتى أُغيّر ملابسي ، وحتى إني لم أرتدِ حذاء قدمي، فلم يكن هذا هو ما يشغلني؛ ولكن ما بداخلي كان هو الأهم.. أن أتأكد مما رأيت ..فنزلت إلى الشارع و الأفكار تتزاحم في رأسي.. فوجدت نفسي مرة أخرى في شارع مُكتظ بالناس، مزدحم مثلما تعودت عليه، مزدحم لدرجة كبيرة حتى إنه مثلما يقولون:"إن ألقيت به حبيبات من الملح لن تنزل على الأرض من شدة الزحام".صرخت في الناس بفرحة قائلاً: "الشارع مزدحم.. الشارع مزدحم..

الحمد لله الشارع مزدحم".فتخيلوا أنني قد جننت بل وقالها بعضهم للبعض :" إنه مجنون، لقد فقد عقله"ولكن هذا لم يهمنيوإنما ما همني هو فرحتي العارمة التى أحسست بها حينمااكتشفت أن كلما رأيته قبل ذلك كان مجرد حُلم، وأن الشارع دائماً مزدحم ولا يخلو من الزحام أبداً ، وأن الوحش الذى انتظرت رؤيته كان وحشاً من خيالي وأنخوفي هو من صوّره لي ووحدتي..وقتها فقط تذكرت كيف كنت أتشاءم في الأياموالسنين الماضية من هذا الزحامولكني الآن عرفت قيمة هذا الزحام، وعرفت أيضاً مزاياه، بل وأحببته.فحمدت ربي أنني أعيش فى شارع مزدحم وليس قبرمهجورعلى هيئة شارع هادئ وخال.

...تمت...

لأجل فتاة

نظرت لنفسي في المرآة متعجباً لما وصل إليه مظهري المتعب ؛ فمن يرني الآن يعطنى سن رجل في الأربعين من عمره بينما أنا . في حقيقة الأمر . مازلت أعبر بقارب العمر بين أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات .. أشحت بوجهى عن صورتي في المرآة ونظرت إلى الصور المعلقة على جدران الغرفة والتى أظهر فيها . كعادتى . أحمل جائزة المركز الأول في أهم البطولات المحلية والدولية لرياضة " المصارعة الرومانية " فأنا لاعب ممتاز بالمصارعة الرومانية .. أو كنت كذلك حتى الأسابيع القليلة الماضية ؛ قبل أن يحدث لي هذا الحادث الأليم الذي غير مجرى حياتي بأكملها ونقلنى من بطل مشهور ذي شعبية كبرى وجمهور عريض إلى رجل عاجز حتى عن الحركة دون كرسيه النقال ، وتبدلت نظرة الإعجاب التى كنت أراها في أعين جميع من حولي إلى نظرة عطف وشفقة منهم على هذا العاجز، ولذلك لزمت غرفتى بالمنزل ولم أحاول أن أرى أحداً أو أدع أحداً يرانى خاصة بعد صدمتى العاطفية التى تعرضت لها والتى أعدها السبب الحقيقي في كل ما حدث لي ، فأنا في البداية كنت بطلاً رياضياً شهيراً . كما ذكرت مسبقاً . وكان الجميع يحبوننى و يحترموننى وكنت أحب نظرة الإعجاب التى أراها في أعين من حولي وذات يوم تعرفت على فتاة جميلة وكنت قد بدأت

ألاحظ من قبل إصرارها على حضورها أية بطولة لي بل ووجودها الدائم أيضاً في أية حفلة أو سهرة في مكان ما أتواجد فيه أنا ، أشعرتنى باهتمامها قبل أن تتكلم معي ثم جاءت في يومٍ وبعد حصولي على جائزة المركز الأول في بطولة هامة لتهنئنى بالفوز بالبطولة والجائزة فشكرتها فصرحت لي تعمدها بتعقبي في كل المسابقات وحينما سألتها عن السبب قالت إنها تود البقاء بجواري دائماً فهذا ما يحقق لها السعادة التى تتمناها .. أسرتنى بكلماتها البسيطة وابتسامتها المغرية وصرحت بإعجابها بي فقدرت ذلك ولأننى لم أعتد على أن أفطر قلب أحد حدثتها برفق وجاملتها فطلبت منى أن نصبح أصدقاء فلم أرفض طلبها وبالفعل صارت ترافقنى بكل مكان بعدما كانت تتبعنى و تتعقبنى إليه، وشيئاً فشيئاً اعتدت على وجودها خاصة أنها أصبحت تهتم بكل ما يخصنى وأعطتنى حباً واهتماماً لم أرهما في حياتى قط بهذا الكم فأحببتها و أصبحت أهم شيء لدي ، أهم من اسمى وشهرتى ورياضتى وبطولاتى أيضاً ، أصبحت كل حياتى .. وعندما زاد تعلقي بها تبدلت الأدوار ، فأصبحت أنا ظلها واستغلت هى ذلك فصارت تأمرني بما أفعل وكأنها سحرتني أو أوقعتني تحت سيطرتها بطريقة غامضة كالتنويم المغناطيسي ، وذات يوم رشحت للمشاركة في إحدى البطولات الهامة التى كنت أتمنى المشاركة بها ولكن حبيبتي كانت حينها تود السفر إلى باريس لتتنزه هناك فتخليت عن المشاركة بالبطولة التى حلمت بها كي أرافقها

وأحصل على رضائها ، ولم تكن هذه البطولة هي آخر ما خسرته من أجلها بل كان أول القطر.

أصبح اهتمامي ببطولاتي بالمرتبة الأخيرة ، وحبيبتي تلك بالمرتبة الأولى دائماً فلأجلها كنت أفعل أي شيء ، حتى إنني ابتعدت عن جميع أصدقائي لأنهم كانوا يحذرونيمنها ومن سيطرتها عليّ ولم تعجبني طريقة كلامهم عنها فاخترت الابتعاد عنهم لأجلها ولم أشعر وقتها أنني الخاسر ؛ فكنت أشعر أننى رابح دائماً مادامت هي معي فأنا لا أريد سواها ، وصرت أهمل كل شيء في الدنيا لأجلها فأتخلف عن حضور بعض التمارين لدى مدربي ، وأغضبه هذا مني بالطبع لكنني لم أهتم ؛ فما كنت أصر على الحفاظ عليه هو إسعادها حتى بمرافقتها كل ليلة لأحد النوادي الليلية نرقص ونشرب الخمر ونقوم بما يحلو لنا ، أغضبت مني جميع من حولي وحولت الصحف مسارها من كلمات المدح إلى مقالات الهجاء بل والتشهير .. وعندها لم أدرك مدى خطورة هذا على مستقبلي ، لكنني بعد فترة لاحظت من حبيبتي بتغير في معاملتها لي ، وبدا كل شيء مختلفا ..كلامها المعسول ، تصرفاتها ، نظراتها الحانية ، والاهتمام المبالغ فيه .. كل شيء ، وأصبحت تختلق الأعذار حتى لا تراقصني في السهرات والحفلات كالمعتاد .. أثارت جنوني وملأ الشك قلبي في أنها لم تعد تحبني كما كانت أو كما كانت تدعي ! فبدأت أراقبها حتى اكتشفت مالم أتوقعه يوماً ، اكتشفت أنها على علاقة بشاب آخر ..لم أقدر على تمالك نفسي من الصدمة حينما رأيتها تخرج

برفقته لكنني لم ألحق بها بل ذهبت إلى منزلي وجلست أفكر وأسأل نفسي لما فعلت بي هذا وأنا تركت كل شيء لأجلها ؟ وخسرت كل شيء حتى قيمة حياتي .. الآن فقط أحسست طعم الخسارة في حلقي كم هو إحساس مرير.

ظللت أراقبها معه حتى عرفت شخصيته فقد كان ذلك سهلاً لأنه كان ذا شعبية أيضاً فهو لاعب شهير بكرة السلة ، وكأنها تعشق أن تظهر بصحبة الأبطال والمشاهير .. غضبت جداً لكن حبي لها جعلني أقبل الهزيمة وأسحق كرامتي تحت قدمي أو بالأحرى تحت قدميها التى ذهبت إليها وركعت عندها أتوسلها ألا تتركني، ففجرت قنبلة من الغرور وقسوة القلب في وجهي قائلة لي إنها لم تعد تحبني ولم تعد تريد التواجد معي ؛ فقد خسرت اسمي وشهرتي وأصبحت صفراً على اليسار لا يمثل لها أية قيمة فقلت لها إننى خسرت شعبيتي ومستقبلي لأجلها فما كان منها إلا رداً أشد قسوة وجفاء فقد ردت قائلة : لم أحب فيك سوى شهرتك فقد كانت ميزتك الوحيدة والآن وقد زالت عنك ما معنى وجودي معك ، كان الجميع سابقاً ينظرون إلي ويقولون عنى رفيقة البطل أما الآن سيقولون عنى رفيقة إنسان سكير ، تائه ، بل وفاشل أيضاً .. وأنا بالطبع لا أريد ذلك أبداً.

قمت من مكاني وكدت أقتلها لولا أنني تمالكت نفسي واكتفيت بصفعها على خدها وتركتها وذهبت ، ركبت سيارتي وأنا أسترجع كل

الأحداث الماضية وذكرياتي معها فقد كانت تعرض في ذاكرتي كشريط فيلم سينمائي وعرفت وقتها كيف خسرت أشياء لأجل لاشيء فقد اشتريت شيئاً رخيصاً بأغلى ما لدي .. أحلامي واسمي وسمعتي وشهرتي وبطولاتي ، أضعت كل شيء ولم يبق لي سوى أطلال الجسد الرياضي الذي هدمه الخمر ، والسهر ، والسمعة السيئة بسبب شجاراتي في النوادي الليلية لأجلها ، ودموع قلبي المطعون بخنجر الحب والغدر ، وأكثر من ذكرى كاذبة بيني وبينها ، وبينما أنا غارق في أفكاري السوداء نسيت أنني أقود سيارتي في طريق عام فكدت أصطدم بسيارة أخرى لولا أنني أدرت السيارة بسرعة فاصطدمت بشجرة على الطريق وأحسست بألم كبير في قدمي ولم أشعر بعدها بشيء حتى أفقت في المشفى ووجدت نفسي أسير الفراش وبعدها علمت أننى لن أستطيع السير على قدمي مرة أخرى فقد أصبحت عاجزاً ، وعندها علمت أن الله يعاقبني على ما فعلت لكنه عقاب شديد جداً عليّ ؛ فمعنى ذلك أننى فقدت كل أملى في أن أعود لبطولاتى السابقة بل والأكثر من ذلك أننى لن أقف على قدميّ مرة أخرى فسأظل قعيداً على كرسي متحرك لن أتحرك بدونه وما كان يعذبني أيضاً نظرة جميع من حولي إليّ .. تلك النظرة التى تنم عن العطف والشفقة .

في بداية معرفتي بالأمر ثارت أعصابي ونمت ثلاثة أيام تحت تأثير المخدر الذي اضطر الطبيب لإعطائي إياه حتى أهدأ وتهدأ الزوبعة التى كنت أقوم بها ، ثم بعد ذلك بدأت أتقبل الأمر شيئاً فشيئا. لكن مالم أستطع تقبله

تلك النظرة التى أصبحت أراها في أعين الجميع ..نظرة الشفقة لذا اعتزلتهم جميعاً ولزمت منزلي مع خادمي الأمين الذي يلازمني منذ سنوات .

في بداية عزلتي كان الكثير من الكتّاب الصحفيين و أكثر من مذيع تلفزيوني يطلبون مقابلتي لكننى كنت أرفض لأنني أعلم أنهم يريدون أن يربحوا وجرائدهم وقنواتهم الفضائية على حساب هذا العاجز أو الرياضي السابق نظير مبلغ من المال ، فكم كان هذا يثير اشمئزازي لذا كنت أرفض أن أستدر عطف القراء والمشاهدين ؛ فيكفيني ما أنا فيه من إحساس بالشفقة ممن حولي ، وبعد ذلك فوجئت بشيء غريب يحدث .. ففي صباح كل يوم يأتي خادمي بباقة زهور جميلة و زكية الرائحة ويخبرني بأنها أرسلت لي من محل الزهور المجاور دون اسم لمرسلها أو حتى بطاقة تحمل كلمة أو توقيع ، في بداية الأمر لم يثر هذا فضولي أو اهتمامي لكن عندما وجدت هذا يتكرر يومياً على مدار شهر كامل اتصلت هاتفياً بهذا المحل وسألته عن اسم المرسل للباقة اليومية فأخبروني بأنها فتاة مجهولة لا يعرفونها ولا تترك اسمها . وعندها طلبت منهم إبلاغها بعدم رغبتي في استلام تلك الزهور حتى أعرف من مرسلها فجاءت الباقة التالية ومعها بطاقة تحمل تلك الكلمات "إلى البطل الحقيقي ..أعتذر لك فأنا لا أريد إزعاجك ..لكن أرجوك لا تحرمني من إرسال تلك الزهور إليك لأننى أتنفس بها عندما تراها أو تلمسها أو تشم عبيرها ".. لا أعرف لمَ أراحتني تلك الكلمات الغامضة غيرالموقعة فصرت أقبل استلام جميع الباقات التالية وكانت كل منها

مصحوبة بكارت يحمل كلمات رقيقة بسيطة موقعه بـ "فتاة مجهولة" لكن بعد ذلك أضيف إليها كلمتان هما " تهتم لأمرك"وأصبح هذا هو التوقيع الدائم"فتاه مجهولة تهتم لأمرك" وكم أسعدني هذا ؛ فطريقتها تلك أشعرتني بالاهتمام بالفعل لا بشعور الشفقة تجاه شخص عاجز، لهذا أحسست بالرغبة في لقائها وظللت أفكر كيف أفعل هذا حتى توصلت لحل اعتبرته الحل الوحيد ..فقمت بإرسال خطاب مع خادمي إلى محل الزهور وجعلته يطلب منهم أن يعطوه إلى تلك الفتاة في زيارتها القادمة للمحل فقد كان خطاب شكر على ما تفعله معي كما كان يتضمن طلبا شخصيا مني برؤيتها شخصياً .. وجاء موعد الباقة التالية ؛ فقد كانت تصل يومياً في نفس الموعد إلا أنها تأخرت هذه المرة ولا أعرف لم أثار تأخرها قلقي وتوتري ، قد يكون ذلك لأننى كنت في انتظار ردها على خطابي وشردت للحظة أفكر في أنه من الممكن أن يكون تأخر الباقة هذه المرة يتعلق بردها على خطابي فقد أكون قد أزعجتها بهذا الطلب.. فعلى أي حال لمَ ستهتم هذه الفتاة برجل عاجز إلا على سبيل الشعور بالشفقة عليه .. وبينما أنا غارق في تفكيري إذا برنين جرس الباب ينتشلني من هذا التفكير وكنت بجواره وجاء الخادم ليفتح الباب ففوجئت بفتاة تحمل باقة الزهور وتسأل عني .. نظرت إليها فأخذني جمالها ؛ وجدتها جميلة ، جذابة ، وكأن سحر الكون قد اجتمع في رقة كلماتها وصوتها العذب الذي انتشيت عند سماعه بسؤالها عنى.. انتبهت لنفسي وأذنت لها بالدخول فدخلت وجلست معي وطلبت أنا من خادمي

أن يعد لنا فنجانين من القهوة ونظرت إليها ثانية .. إنها شابة في ربيع عمرها ، ملابسها أنيقة ذات ذوق رفيع ، تعلو شفتيها ابتسامة رقيقة ، وفي عينيها نظرة خجل تكسوها البراءة.. لاحظت كل هذا قبل أن أتحدث معها ، وفي بداية حديثي معها سألتها لماذا تهتمين بي وترسلين لي هذه الأزهار فأجابتني بأنها إحدى معجباتي المخلصات واللاتي يتمنين أن أعود إلى حلبة البطولات من جديد فأطرقت برأسي وأخبرتها باستحالة هذا الأمر لكنها ردت باستنكار قائلة : لاشيء مستحيل على الأبطال ، فالبطل الحقيقي ذو إرادة أقوى من الحديد .. يستطيع أن يفعل أي شيء ليظل بمرتبته العالية بل ويرفعها أكثر فأكثر . تعجبت لكلامها الذي ينم عن إيمانها الشديد بي وبقدرتي على محاربة عجزي والتغلب عليه ، أراحتنى بحديثها معي وطلبت مني أن تكرر زيارتها لي فوافقت وأعتقد أننى كنت سأطلب هذا بنفسي لولا خجلي وخوفي من رفضها، وتوالت زياراتها لي واستطاعت أن تخرجني ليس من وحدتي فقط وإنما من المنزل أيضاً فأصبحت تصحبني إلى النادي الرياضي والاجتماعي لنغير من جو المنزل وعادت ضحكتي إلى شفتيّ .. عادت إليّ وعادت تهز جدران غرفتي الصامتة ورنينها يعلق بذهني فيزيدني سعادة، وبدأ مظهري يستعيد أناقته من جديد ، ونظرت لنفسي في المرآة ثانية فعرفت الفرق .. فعندما نظرت في نفس هذه المرآة منذ شهرين فقط كرهت مظهري ، أما الآن فقد عدت شاباً يتمتع بحيوية كبرى وأمل في الحياة وكانت تلك الفتاة النقية والتى تدعى "ندى" أرق بالفعل من الندى هي

من أعادتنى إلى الحياة من جديد فبعد أن كنت أحسب نفسي في عداد الأموات أصبحت أرى الدنيا بعينيها ؛ فأرتدي الملابس الأنيقة وأقوم بحلاقة ذقنى وأذهب معها نهاراً إلى هذا النادي وأقابل فيه أصدقاء جدد وحتى أصدقائي القدامى قد عادوا إليّ مرة أخرى ، بل والأكثر من ذلك أن "ندى" كانت تحفزنى دائماً وتشرف على كل ما يخصنى فتعطينى أدويتى بنفسها، وتتأكد من ممارستى للعلاج الطبيعي بالإضافة إلى بعض التمارين الأخرى حتى تحسن وضعي بالفعل . وجدت نفسى أتعلق بها ، وكلما ازداد هذا التعلق ازداد معه حب الحياة وقوة الإرادة فعزمت على أن أفعل المستحيل لأجلها وحتى لا أخيب ظنها بي ، فقسوت على نفسي أكثر حتى تحسنت واستطعت أخيراً أن أتمكن من الوقوف على قدميّ بالفعل . وجاءت " ندى" إليّ في موعدها وبمجرد أن فتح لها خادمي الباب نظرت إليّ من مكانها وكنت جالساً على كرسيّ النقال في انتظارها وطلبت منها أن تقف بمكانها بجانب الباب وقمت واقفاً على قدميّ ونظرت إليها لكي أعرف وقع هذا الحدث عليها وأثره فيها ففوجئت بها تجري نحوي وتضمنى إليها وهي تكاد تفقد عقلها من السعادة .. ظلت تضمنى وهي تردد عبارات الشكر لله .. أمسكت بوجهها ونظرت إليه فرأيت دمعاً يتلألأ فوق خديها فقبلت ذلك الدمع وقلت لها : هذا الدمع أغلى من أن ينزل من عينيك لأجلى ، فقالت : أحبك ..فقلت لها : أخيراً .. كل هذا الوقت كي تنطقي هذه الكلمة ؟ أيستغرق نطق أربعة أحرف كل هذا الوقت؟!

. أكنت تنتظرها منى ؟!

. بالطبع ..فأنا شعرت بها في اهتمامك بي ، ورأيتها في عينيك .. ولم يبق إلا أن تنطق بها شفتاك الجميلتان.

. وماذا عنك؟

. لست محتاجة لأن أقولها بالكلمات ؛ فقد برهنت لك عليها بالفعل

. أتعنى.....

. نعم ... لقد وقفت على قدميّ من أجلك واستعدت ابتسامتى ولياقتي وحياتي بأكملها لأجلك أنت.

ضمتنى إلى صدرها ثانية فأحسست بحنان العالم كله بين يديّ وعزمت على أن أفعل أكثر من ذلك لأكون جديراً بها وبحبها لي ، فاهتممت بالتمارين أكثر وأكثر حتى استعدت . مع الوقت . لياقتى بالكامل وأصبحت أمشي على قدمي بل وأجري وأقفز أيضاً ، وبعد فترة عدت للتدريب وعدت لحلبة المصارعة لكن بمباريات صغيرة ، وجاء اليوم الذي اخترته لأثبت مدى حبي لها فقد طلبت منافسة بطل عالمي حتى أثبت لنفسي أنني أصبحت . بفضلها بعد ربي . أفضل مما كنت ، وعندما علمت هي بذلك بكت وحذرتنى ولمحت الخوف في عينيها مختلطاً بالدمع فطمأنتها ورجوتها ألا تفقد ثقتها وإيمانها بي حتى نهزم الخوف معاً . وبالفعل بدأت المباراة أو البطولة التى روجت لها الصحف كثيراً بمختلف العناوين عن عودة البطل إلى

حلبة المصارعة بعد عجز دام لفترة طويلة حرم فيها جمهوره من رؤيته ، والكثير من العناوين المستفزة لكنها كانت تزيد من عزيمتي وإصراري ، وطوال مدة المباراة كنت أشعر بقلب " ندى" يلازمنى ودعواتها ترافقنى وصوتها يرن في أذنى مشجعاً : هيا يا بطل .. حتى انتهت المباراة وفزت على بطل العالم وسحبت منه هذا اللقب بقوة ، وبمجرد انتهاء المباراة وجدتها بجواري تمسك بيدي فضممتها إلى صدري وطلبت منها الزواج أمام الجميع فامتلأت الأرجاء بتصفيق حاد لكنى لمحت نظرة تردد في عينيها فاحترت لأمرها وانتظرت حتى أصبحنا بمفردنا وسألتها عن سبب ترددها الواضح في نظراتها فلم تجبني فقلت لها : لولا أننى أعلم حقاً أنك تحبينني لدخل الشك إلى قلبي . فردت قائلة : الأمر يتعلق بعلاقتك السابقة.فقلت لها إن هذه العلاقة بالفعل لم تكن علاقة عابرة ؛ فقد سلبت مني كل شيء حتى الرغبة في الحياة ، خسرت لأجلها كل شيء لكننى استعدته معك فبفضلك استعدت الرغبة في الحياة والإصرار على النجاح.. لقد كانت إنسانة مريضة وسيئة الخلق فقد جذبتنى من مرتبتي الرفيعة بين الأبطال ورمت بي في مستنقع الأغبياء وجعلتنى أفقد الثقة بنفسي وبكل من حولي، فصنعت منى شيئاً بلا قيمة لا يعرف سوى العجز والمرض . لقد جعلتنى أخسر كل شيء وأعاني من تلك الخسارة حتى وجدتك أنت يا "ندى" فأحييت روحي التى قتلتها هي وأعدتنى إلى الحياة من جديد. قاطعتنى قائلة : لست من تظنها أيها البطل ، لست الملاك الذى تراه ؛ فما أنا إلا صديقة

تلك الفتاة التى خذلتك ودمرت أجمل الأشياء بحياتك. فذهلت مما سمعت ورددت باستنكار: صديقتها؟!!

. نعم .. لقد تعرفت عليها قبل أن تتعرف هي عليك وتأثرت بها وسرعان ما بدأت تجرفنى أيضاً في تصرفاتها؛ فبدلتنى تماماً ..أصبحت أذهب معها إلى النوادي الليلية بدلاً من الندوات الفنية والثقافية التى كنت أدمن عليها وأحضرها باستمرار ، وأهتم بعروض الأزياء والحفلات الصاخبة بدلاً من الحفلات الخيرية والأعمال الصالحة التى كنت أتابعها، أثرت عليّ في أشياء كثيرة ، لكن الشيء الوحيد الذي لم تستطع أن تغيره هو إعجابي الشديد بك حتى تحيرت وسألتني إن كنت أحبك فلم أجبها ، وكانت تكره أن يحصل أحد على شيء ليس لديها حتى إن كان مجرد الشعور بالإعجاب أو الحب ! فبدلت الأدوار وأصبحت تهتم لأمرك أكثر منى وانقطعت عن زيارتي فجأة لفترة كبيرة عرفت بعدها أنها كانت في تلك الفترة تتردد على مبارياتك بالكامل ، وتتعقب خطواتك أكثر منى بعدما أبعدتنى عنها بتهكمها وسخريتها منى فاكتفيت أنا بمتابعة أخبارك من خلال الصحف والتلفاز في حين مواظبتها هي على حضورها بنفسها بل ومحاولاتها المستميتة في أن تكون جزءاً منها ، حتى عادت إلي بعد فترة لتصارحنى بعلاقتكما بعدما أشاعت أنباءها بعض الصحف فرأت هى أنه من الأفضل أن تؤكدها لي بنفسها ، وقد تكون قد فعلت ذلك لترى في عينيّ نظرة الألم أو دموع الحسرة التى أخفيتها حينما ادعت أمامى أنها تحبك حقاً ، حاولت تصديقها

برغم أننى أعلم أنها كاذبة فهي حقاً أبرع كاذبة قد تعرفها في حياتك ، لكننى بذلت جهداً كبيراً حتى أفترض فيها حسن النية ولكن لم يدم هذا طويلاً حيث إننى علمت بعد ذلك بما فعلته معك وما ساقتك إليه من إهمال ونزولها بمرتبتك إلى الحضيض فذهبت إليها لأطلب منها تفسيرا لما تفعله بك وأحاول لفت انتباهها إلى ما تسببه لك من ضرر وما قد ينتج عنه من ضياع لك .. لعلها لا تدركه فلن تتخيل رد فعلها .. لقد أهانتنى وطردتنى شر طردة بعدما اعترفت لي بأنها لم تحبك يوماً وإنما كانت تمارس لعبتها في أن تنتزع شيئاً لا تملكه من شخص آخر وإن كان هذا الشيء هو شعورى بالحب .. حتى وإن كان هذا الحب من جانبي أنا فقط وليس حباً متبادلا من الطرفين .. حينها أحسست أننى مسئولة عن كل ما حدث لك لأننى تركتك فريسة لهذه القطة المتوحشة وحضنها الدامى ، وأنَّبت نفسي كثيراً لهذا لكننى لم أجد طريقة لأحميك منها .. خاصة بعدما علمت بكل ما خسرته لأجلها وتأكدت من حبك الكبير لها ، فتوسلت في دعواى لك أن يهز حبك الكبير صخر قلبها المتعجرف ويجعلها تحبك بصدق ولو بنصف ما بحبك من إخلاص ؛ فلا تؤذيك أكثر من ذلك.. لكن دعائي لم يُجب حتى امتصت ما تبقى من دمك لآخر رشفة منه وطعنت قلبك بخنجر الغدر وتركتك جريحاً بين ذكرياتها الكاذبة حتى اعتزلت العالم فتضاعف شعوري بالذنب فلجأت لقصة الزهور حتى أخفف عنك الوحدة وعنى تأنيب قلبي وضميري ، وعندما التقيت بك وجهاً لوجه عاد نبض الحب إلى قلبي من

أول كلمة سمعتها منك ، وتمنيت أن أكمل حياتي وطريقي معك .. واليوم عندما عرضت علي ذلك أمام الجميع أحسست أنه يجب عليّ أولاً أن أطلعك على الأمر بأكمله ؛ لأننى أعتبر نفسي مذنبة في حقك فإن أمكن لك مسامحتى سأقدر لك هذا كثيراً .. وإن لم تتمكن من ذلك سأعطيك كل الحق فأنا أقر بذنبي على كل حال.

أنهت حديثها الباكي وأطرقت برأسها أرضاً فأحسست في صمتها عذوبة أكثر من عذوبة الكلام ، وأحسست في صراحتها راحة تأسر القلوب حباً فأمسكت برأسها بكفيّ ورفعته لأرى عينيها الجميلتين فوجدتهما دامعتين ونظرت إليّ حائرة فأمسكت بيديها وقبلتهما في لهفة وحنان فقالت : أسامحتنى؟ ..فلم أجبها إلا بسؤال واحد: أتقبلين الزواج بي؟ فابتسمت لي وضمت كفيّ بيديها فضممتهما إلى صدري فرحاً وحددنا موعد الزواج وأخبرنا جميع الصحف به ليعملوا جميعاً على تغطيته إعلامياً وعزمت على أن يكون حفل زفافنا لا مثيل له .. جميلاً بقدر جمال حبيبتي وبقدر حبها لي وسعادتي بها ومعها وحتى أعوض ما فاتنى بدونها فقد خسرت الكثير من الوقت والحب والبطولات بل وكدت أخسر حياتي كلها من أجل فتاة! .. لكننى استعدت كل هذا وأكثر أيضاً لأجل فتاة !!!

... تمت...

للقدر رأي آخر

"للأسف أنت تعاني من مرض سرطان الرئة".

قالها الطبيب المختص في تأثر مصطنع للشاب الممدد أمامه على سرير المستشفى ولم يدر حجم الصاعقة التى أصابت الشاب الذى يعبر به قارب العمر إلى منتصف العشرينات.

شرد الشاب بعيداً ، وفى خلال لحظات استعرض سنوات مضت وأحداثا جرت وارتسم الحزن على وجهه فكسى وسامته وأطفأ بريق عينيه البنيتين وانحنى شعره الأسود الناعم فى سكون لم يصبه طوال سنوات عمره المرحة والمضيئة له ولكل من حوله ، فهو بخفة ظله وتسامحه مع الجميع واقترابه منهم ضحكات تمشي على الأرض فى براءة الأطفال وطهر الملائكة ، وكأنه يحارب جميع هموم البشر بالضحك والسخرية التى دائماً ما كانت تفتح له قلوب سامعيه قبل بيوتهم ؛ فقد تربّى وعاش كل ما مضى من سنوات فى بيته البسيط القائم بحي الجمّالية .. هذا الحي الذي لايزال محتفظاً بالشهامة المصرية والصفات الحميدة والروح الطيبة داخل ساكنيه قدر احتفاظه ببساطته وأصالته ، ففي هذا الحي الكريم تربّى الشاب الساخر مع

جده لأبيه دون أن يشعر بالوحدة بعدما فقد والديه فى حادث في طفولته فتكفّل به جده حتى بلغ الثامنة عشر من عمره ثم فارق الحياة تاركاً حفيده على أعتاب الشباب بعدما ترك له تربية ممتازة وتعليما جيدا وجيرانا كرماء وصديقا مخلصا يدعى "أمين" هو ابن جارٍ له وشريك تربيته ،يعتبر كل هذا هو إرث الشاب الساخر بالإضافة إلى الأموال التى تركها جده له فى أحد البنوك ليضمن له عيشة جيدة أو لتكون رأس مال لأي مشروع ناجح يقوم به حفيده.

انسحب الشاب من شروده فجأة على صوت الطبيب وهو يناديه قائلاً:

"سامح" إلى أين ذهبت؟ أتسمعني؟

نعم أيها الطبيب ..ماذا كنت تقول؟

كنت أقول لك لا تيأس هكذا فهناك أمل كبير في الشفاء.. المهم أن تتبع تعليماتنا بدقة وستشفى قريباً بإذن الله.

قالها الطبيب ثم انصرف بعدما ألقى على "سامح" بعض التعليمات والنصائح وقائمة كبيرة من الممنوعات أو ما يجب عليه ألا يفعله تحت أي ظرف. وبعد دقائق فتح "أمين" صديق سامح باب الغرفة بهدوء مفترضاً أن "سامح" نائم ولكنه عندما رآه يتقلّب في فراشه عرف أنه لم ينم فذهب إليه على الفور ليواسيه ويُضحكه ويخرجه من دائرة همومه كما كان يفعل هو معه دائماً.

ظلّ "أمين" بصحبة "سامح" بالمستشفى طوال اليوم ثم انصرف إلى منزله فى المساء . تنفيذاً لرغبة وتعليمات الطبيب المعالج . بعد أن وعد صديقه أنه سيأتى إليه يومياً فى الصباح ليقضى معه اليوم بالكامل ولن يتركه إلا مساء؛ وصل " أمين" إلى بيته بقلب يعتصره الحزن على صديقه فسمح للدموعِ بالانزلاق من عينيه بعد أن كان قد حجّرها فيهما طيلة الوقت أثناء وجوده مع "سامح" فهو بمثابة أخ شقيق له ودائماً قريب من قلبه إن لم يكن ساكنه ، فكانا دوماً معاً إمّا فى منزل أحدهما أو فى نزهة معاً خارج الحي ،أو بالحي جالسين بأحد المقاهي بصحبة بعض الجيران والأصدقاء الآخرين يشيعون البهجة بالحي ويشعلون الدنيا مزاحا صارخا .

منذ أن علم "سامح" بمرضه تبدّلت حالته فاختفت الضحكة المنيرة من فوق شفتيه وانطفأت النظرة اللامعة في عينيه وخاصمته روح المداعبة التي كانت تتميز بها شخصيته ، فقد أصبح أسيرا لليأس بسبب مرضه الذي استسلم له استسلاما كاملا وكأنه دخل دائرة أُحكمت عليه من الألم والعبوس الذي احتل مكان البسمة التى كانت تخرج من قلبه مرتسمة على شفتيه حتى تُنسخ على شفاه الجميع وكأنها عدوى تسري فى عروقهم مسرى الدم لتستقر فى النهاية إلى قلوبهم ، لكنه بمجرد علمه بمرضه وبمدى خطورته أيقن أنه سينهى حياته ، أو ما بقي منها بين جدران ذلك المستشفى فوق سريره الذى حجزه له مرضه ، وكتبه له القدر فاستقر في غرفة منعزلة عن باقي الغرف . وفقاً لرغبته هو . وكانت غرفته لها نافذة تطل على حديقة

المستشفى المليئة بالزهور والتى كانت قريبة جداً منه فكانت أسفل غرفته مباشرة .. كان يقف في تلك النافذة كلما اختنق بالدموع ليبكى وحده وينظر للسماء ليدعو الله أن يريحه من آلامه سواء بالشفاء أو بالموت.

طالت به الأيام المريضة التى كلما تمر تزيد حالته حرجاً وتضيف إلى حالته النفسية سوءاً فتجعل اليأس يتملك منه أكثر فأكثر حتى أصبح يائساً يعد أيامه يوماً بعد يوم.

وذات يوم نظر إلى الحديقة فلاحظ أن زهورها أقل من ذي قبل،ولاحظ أيضاً أن البعض منها بدأت أوراقها تذبل وتجف فنظر إليها وقال لنفسه في يأس : أيام عمري مثل هذه الزهور .. تذبل وفي طريقها للتساقط فعندما تسقط زهرة سأعلم أننى خسرت يوماً من حياتى وبالفعل قام بعد الزهور ليعرف كم زهرة موجودة بالحديقة .. عرف عددها وجاء في اليوم التالى وأعاد عدها مرة أخرى فوجد أنها قد نقصت واحدة فقال: ها قد خسرت يوماً من عمري .. وفي اليوم التالي كرر نفس الشيء فوجدها قد نقصت زهرة أخرى فعاد يقول: ها قد خسرت يوماً آخر فدخل عليه حينها صديقه "أمين" فوجده منشغلاً وسمع جملته هذه فسأله لمن كان يتحدث .. فقص عليه قصة عمره والزهور فبكى "أمين" ثم ابتسم له ثانية ونصحه بألا يربط نفسه وعمره بتلك الزهور التى تتساقط أوراقها يوماً بعد يوم ، وأن يبتسم للحياة كي تبتسم له فوجده كما هو مقتنعاً بما يفعل ومتمسكاً بيأسه فجلس معه

يحاول إضحاكه وينسيه همه بقصصه ونوادره الظريفة ثم ذهب إلى بيته بعدما اطمأن عليه وعلى أنه قد تناول أدويته.

وفي اليوم التالي استيقظ "سامح" وبمجرد أن فتح عينيه جرى نحو النافذة وألقى نظرة على الزهور كي يعدها مثل كل يوم فوجد عددها لم ينقص شيئاً فتعجب وقال لنفسه : يبدو أن إحدى الزهور لديها بعض القوة أوالإرادة التى قامت بحمايتها اليوم لكننى أظن أنها لن تفلح في ذلك غداً ؛ فالريح أقوى من أوراقها الذابلة ، ودقق النظر فوجد أن زهرة جميلة قد لفتت انتباهه بشكلها المختلف ؛ فأوراقها ليست مغمضة ، كما أن درجة لونها اختلفت بعض الشيء عن الزهور الأخرى فتعجب الشاب حينها ؛ فكل الزهور حولها إما أوراقها ذابلة أو مغمضة عدا هذه الزهرة المتميزة.

وفي اليوم التالى أعاد عد الزهور مرة أخر فوجد عددها قد نقص واحدة والزهرة المتميزة لازالت كما هى فقال لنفسه " يبدو أن هذه الزهرة لم يحن دورها بعد ولكننى بأي حال من الأحوال قد خسرت يوماً آخر من عمري . وظل هكذا كل يوم ينظر إلى الزهور ويقوم بعدها ليجدها تنقص زهرةً حتى سقطت كل الزهور عدا الزهرة المتميزة التى مازالت كما هي واقفة في وجه الريح وأوراقها متفتحة لم تذبل ، ولونها كما هو فقال لنفسه : غداً ستسقط هى الأخرى ويسقط معها اليوم الباقي لي من عمرى.

وفي صباح اليوم التالي استيقظ ونظر حوله كأنه لا يعرف من وأين هو ، ثم نحّى فراشه جانباً واستقر جالساً فوق سريره ونظر ناحية النافذة المغلقة في قلق .. وظل هكذا بضع دقائق ؛ فقد كان خائفا من أن ينظر إلى الزهرة المتميزة فيجدها سقطت هى الأخرى صريعة الرياح ثم قال لنفسه : سأذهب لأراها فإلى متى سأجلس هكذا ؟

فأنا أفضل وقوع البلاء على انتظاره.

وذهب فأمسك بمقبض النافذة وابتلع ريقه الجاف في خوف ثم فتح النافذة ونظر بسرعة نحو الزهرة فوجدها كما هى .. مازالت هناك في الحديقة في نفس مكانها وبنفس لونها وأوراقها النضرة التى لم تذبل بعد فضحك كثيراً ثم جلس ليفكر، فكر كثيراً ثم قال لنفسه : أمن المعقول أن تغلب إرادة الزهرة الرياح وتتحدى قدرها من السقوط وتغيّر مصيرها ؟! وإن كان هذا في مقدور تلك الزهرة الصغيرة فكيف ليس في مقدوري أنا الآخر ؟

ازدادت إرادة "سامح" و إصراره على الشفاء فظل يأخذ الدواء في موعده ، ويصلي ويدعو الله دائماً ، ويضحك .. يضحك كثيراً ، ويسأل "أمين" الذي يزوره يومياً عن أصدقائه الآخرين وجيرانه ويطمئن عليهم .

وكان "أمين" في غاية السعادة عندما سمع ضحكاته الرنانة ولمح نفس بريق نظرته الذي عاد إلى عينيه ، وكل دقيقة كان يطل "سامح" من النافذة ليرى الزهرة مازالت بمكانها فيزداد فرحة وسعادة وتشتد عزيمته على الشفاء

و إرادته حتى هزم المرض هزيمة ساحقة وشفاه الله تماماً وعادت له حياته من جديد فعاد الأمل يضخ دم السعادة في عروقه فينبض بها قلبه الذي افتقد للشعور بنبضه أثناء مرضه، وفي نظرة أخيرة من نافذة الغرفة التى نزل فيها أثناء صراعه مع هذا المرض اللدود رأى الزهرة كما هى وكانت وجهتها في اتجاهه وكأنها تنظر إليه فقال : لن أنسى أن أشكرك .. سأنزل إليك لأشكرك بنفسي أيتها الزهرة الجميلة المتميزة وحزم أمتعته ونزل إلى الزهرة ليشكرها كما عزم فكانت المفاجأة التى لم يتوقعها أبداً ؛ فقد اكتشف أن الزهرة ماهى إلا زهرة صناعية من البلاستيك وقد قام أحد ما بشبكها في غصن الشجرة وربطها بطريقة محكمة حتى لا تسقط أو حتى تميل عن وجهتها فتراجع خطوات للوراء ثم وقف لحظات وعاد لمكانه أمام الزهرة يمسك بها مرة أخرى غير مصدق اكتشافه بأنه قد علق نفسه بأمل ليس له أي أساس من الصحة ؛ فإن الشيءِ الوحيد الذي حرّك الإرادة بداخله كان وهماً .. لكنه وهم مفيد ؛ فقد أثمر عن نتيجة مبهرة فقد عادت له صحته من جديد ، وليست صحته فقط بل وضحكته وفرحة وبريق عينيه الجميلتين.

ضحك "سامح" وهو ممسك بالزهرة المتميزة " الصناعية " .. ضحك كثيراً حتى سالت دموعه فوق خديه وشرد بخياله بعيداً وأفاق على صوت صديقه "أمين" يناديه فنظر إليه مبتسماً فجاء إليه وضمه إلى صدره وهو في قمة سعادته بتمام شفائه ثم نظر "سامح" إلى الزهرة الصناعية ونظر مرة أخرى إلى "أمين" فابتسم له "أمين" ابتسامة حانية فهم منها "سامح" أنه هو من

شبك تلك الزهرة وربطها بهذه الطريقة عندما كان عنده وسمع منه قصة عمره والزهور فخاف عليه من شدة اقتناعه بهذه القصة فضمه إلى صدره مرة أخرى وهو يشكره ثم خرجا معاً من المستشفى ونظر "سامح" نحو مبنى المستشفى ودقق النظر حتى استطاع أن يرى نافذة غرفته . أو التى كانت غرفته . فابتسم وقال لنفسه: لقد دخلت هذه الغرفة و أنا على يقين بأن نهايتى ستحل فيها ولكن قد اتضح لى أن للقدر رأيا آخر.

...تمت...

يوم الأحد

كنت قد تعودت أن أذهب إلى عملي كل يوم؛ فلم يكن لي يوم راحة أوعطلة، ولم أكن آخذ يوما على سبيل الإجازة ؛ فأنا أعمل سكرتيرة في إحدى الشركات الخاصة التي تعمل في مجال الحاسبات والمعلومات.،وأنا في شدة التفاهم مع رؤسائي في العمل، فكل منا يُكن للآخر كل إعزاز وتقدير،وأنا فعلاً سعيدة بهذا العمل. لا يعكر صفو سعادتي هذه إلاّ" يوم الأحد"!؛ فقد تصادف معي في كل "يوم أحد" مّر بي أن يحدث لي فيه بعض الحوادث الغريبة التي تتسبب لي بالمضايقة والحزن، بل وأحياناً البكاء.وكل هذا يكون "يوم أحد"، ولا يحدث لي هذا في أي يومٍ آخر من أيام الإسبوعِ. فدون أن أشعر كرهت "يوم الأحد" وتعودت أن تحدث لي فيه تلك الحوادث السيئةلدرجة أنني أصبحت أنتظر حدوثها من ليل السبت ..ففي يوم السبت أجلس وحدي ليلاً قبل أن أنام وأفكر وأسأل نفسي:تُرى ماذا سيحدث لي غداً؟ أنا أعرف جيداً أن هذا أسلوب خاطئ بل ومرفوض ولكنه لا إرادي فقد تعودت على هذا..فرغماً عني أصبحت أتشاءم بقدوم "يوم الأحد" إلى أن حدث شيء غريب وكان مفاجأةً لي...نزلت كعادتي "يوم الأحد" إلى الشارِع متجهة إلى عملي وكانت معي بعض الملفات التي كنت قد أخذتها إلى منزلي لأُنهي عملي فيها . فقد كانت ملفات لعملٍ هام لا

تحتمل التأجيل فأخذتها لأسهر عليها؛ فأنا بهذا أو بذاك لن أستطيع النوم في ليل السبت بسبب ما ذكرته من حالات القلق والتفكير فيما قد يحدث لي صباح الأحد . كان الجو معتدلاً ولكن فجأة هبّت نسمة هواء شديدة بعثرت شعري وأوراقي فوقعت بعض الأوراق من هذه الملفات وطارت في الهواء فأيقنت أن مفاجأة اليوم قادمة؛ فهذه الملفات مهمة للغاية ، وضياع ورقة واحدة منها يكفي لاستغنائهم عن خدماتي بالشركة. فقلت لنفسي إن مفاجأة هذا "الأحد" أن أُفصل من عملي . ركضت وأنا أحاول أن أُلملم هذه الأوراق ولكنها كانت تطير هنا وهناك. أحسست فجأةأن هناك شخصاً تراقبني عيناه ثم فوجئت به يجري هنا وهناك حتى جمع كل الأوراق وجاء إليْ يقدمها لي بابتسامه قائلاً: تفضلي يا آنسة.

فقلت له: أشكرك لقد أجهدت نفسك.

قال لي: لا عليك.. لن يحدث شيء .. المهم أن تكون أوراقك كاملةً.

واستأذن مني ومضى فى طريقه، فحمدت ربي أنه أوقفه في طريقي ليساعدني، ومضيت بأوراقي كاملةً وأنا مطمئنة أنني لن أُفصل من الشركة اليوم وأحسست بزهوة انتصار على مفاجأة هذا "الأحد"،وكأن داخلي يقول له: لقد فشلت مفاجأتك اليوم.. إلعب غيرها. ولكن الفضل لهذا الشاب الذي قابلته صدفة فهو المنتصر وليس أنا. وصلت إلى عملي ورتبت أوراقي وقدمتها إلى رئيسي.. فشكرني لاهتمامي بالعمل وعدم تأخيره وأعطاني

مكافأة استثنائية، بل وأمر لي بترقية عاجلة كانت قد تأخرت عليْ كثيراً. فتذكرت وقتهاً أنه كان من الممكن أن يحل محل هذه المكافأة والترقيةجزاء آخر قد يصل إلى إقالة أو فصل ، فحمدت ربي وأكملتُ عملى بفرحة حتى انتهيت منه ومضيت إلى منزلي ولكني توقفت عند المكان الذي طارت فيه أوراقي في هذا الصباح.. وقفت وأنا أسترجع المشهد وأحاول أن أسترجع وأتذكّر ملامح الشاب الذي ساعدني وأحضر لي أوراقي ، فلم أقدر على تذكر شيء سوى ابتسامته الهادئة وكلماته الرقيقة فمضيت إلى منزلي ونسيتُ هذا الموضوع تماماً. وأكملتُ بقية الأسبوع فقد كان أسبوعاً طبيعياً جداً إلى أن جاء "الأحد" التالي وعاد قلبي يحدثني عن القلق والخوف المعتاد من "يوم الأحد" ولكن الغريب أنه كان شيء ما بداخلي يُطمئنني. ولكني تذكرت أن "الأحد" السابق فشل في أن يضايقني أويُعكّر صفوي، وأني انتصرت عليه، بل وأخذتُ أيضاً مكافأة بدلاً من الجزاء الذي كان يعده لي فخفت وقلت إنه بما أنني انتصرت عليه المرة السابقة فسيعود هذه المرة لينتقم مني ، فقدكنت أتعامل معه وكأنه شخص وليس يوماً.. نعم أعتبره شخصاً مشاغباً يحاول دائماً أن يختلق المشكلات ويوقعني بها. تعبت رأسي من التفكير فنمت وفي اليوم التالي نزلتُ إلى الشارع لأذهب إلى عملي. وفي نفس المكان الذي تطايرت فيه أوراقي توقفت قدمي وأحسست بشيء غريب لن أستطيع وصفه فقد كان إحساسا بالقلق والارتياح في نفس الوقت. عزمت على أن أعبر الشارع ولكن الشارع كان مزدحماً للغاية وقفت أنتظر أن يهدأ.

وكنت أحمل حقيبة يدي، وباليد الأخرى كتاباً عن الحب الأفلاطوني؛ فقد كان طريقي إلى عملي طويلاً فكنت أستغل وقتي الذي أقضيه بالسيارة التي توصلني إلى عملي في قراءة هذا الكتاب فهو يحكي عن الحب الرومانسي الأفلاطوني وقصص الحب الشهيرة. المهم أنني فوجئت بشخصٍ ما يقترب مني فجأة ويخطف مني حقيبتي ويجري.فصرخت:النجدة.. إنه لص..أمسكوا به أرجوكم ، ووقفت مكاني لم أتحرك خطوة واحدة ولكني رأيت شخصاً يجري وراءه حتى غاب عنعيني وبعدها بحوالي عشر دقائق عاد هذا الشخص ومعه حقيبتي وقال لي: تفضلي ياآنسة.. من فضلك تأكدي من أن محتوياتها كاملة وأنه لم يسرق منها شيئاً. فوجدتها بالفعل كاملة لم تنقص شيئاً. فقلت له: كيف استطعت أن تأخذها منه؟ قال لي إنه لحق به وضربه ضرباً شديداً جعله يخاف منه وترك له الحقيبة وهرب فشكرته وحاولت أن أُعطيه جزءاً من النقود على سبيل المكافأة فرفض بعزة نفس عالية وقال لي إنه لم يفعل سوى الواجب، ومن يفعل الواجب لا ينتظر عليه مكافأة فشكرته مرة أخرى. فقال لي:"اهتمي بنفسك، واحترسي من طريقك؛ فقد تقابلين الكثير من نوعية هذا اللص."ثم ابتسم لي ابتسامة هادئة ومضى في طريقه. وبعد أن مضى تذكرت أن هذه الابتسامة قد رأيتها قبل ذلك..أدركت وقتها أن هذا الشاب هو نفسه من لملم لي أوراقي في الأحد السابق، ولكنى عرفت هذا بعدما غاب عن عيني فاندهشت، وابتسمت لنفسي ومضيت إلى عملي. وعندما عدت إلى المنزل جلست أُفكر فيما يحدث لي..هل هذه

المرة أيضاً صدفة؟! أم أن القدر يصالحني على ما فعله معي في كل "يوم أحد" سابق؟إنها المرة الثانية التي أنتصر فيها على مفاجأة "يوم الأحد"، وفي المرتين بمساعدة نفس الشخص.لكني لم أُدرك بعد كل هذا التفكير أي معنى لهذا فطردت هذه الأفكار من رأسي وأكملت الأسبوع كعادتي إلى أن جاء الأحد التالي. وفي هذا اليوم، وفي نفس المكان الذي شهد الحادثين في الأحد السابق وقبل السابق وقفت لأعبر الشارع المزدحم كالعادة، وكانت معي أيضاً بعض الملفات الخاصة بالشركة.. وجاءت نسمة الهواء المفاجئة.. فصرت أُمسك بالملفات؛ خوفاً من تكرار الموقف. وحينما بدأت السيارات تهدأ بدأت أعبر الشارع.. وكنت أعبر وأنا أُرتب ملفاتي فانشغلت عن الطريق ولم أنظر جيداً وأنا أعبر ولكني نظرت فجأة فرأيت سيارة مسرعة جداً قادمة باتجاهي فأيقنت أنها نهايتي وشُل تفكيري فبدلاً من أن أفر من أمامها وقفت مكاني..وأيقنت أن هذا الأحد لن يعبر بسلام؛ وكأنه كان يؤخرني في الأحد السابق وقبل السابق ليأخذ الحساب كله دفعةً واحدةً. فهي بالفعل نهايتي مثلما قلت. ولكني فجأة رأيت يداً تجذبني بقوة وتشدني بعيداً وتعبر بي بسرعة غريبة تسبق سرعة الموت. فعبرت وأنا بيني وبين السيارة أقل من ثلاثة سنتيمترات فالتفت لأرى من هذا الشخص الذي أنقذ حياتي وأنقذنى من موتٍ محقق.. وكانت مفاجأة كبيرة لي إذ أن هذا الشخص هو نفسه من ساعدني في الموقفين السابقين الأحد السابق وقبل السابق ..نظرت إليه مندهشة ثم ابتسمت ولم أنطق بكلمة واحدة..فأنا لم

أجد ما أقوله له.. ظللت هكذا إلى أن تكلم هو قائلاً: هل أنتِ بخير؟ أفاقتني كلماته وسعدت بسؤاله فقلت له: نعم أنا بخير..أشكرك للمرة الثالثة. فابتسم لي ابتسامته الهادئة وقال لي: ألم أقل لكِ في المرة السابقة اهتمي بنفسك واحترسي من طريقك؟! هل حياتك لديك رخيصة إلى هذا الحد حتى لا تهتمي بها؟ فوجئت بكلامه لي؛ فهو يحمل نبرة عتاب.. ولكنه عتاب رقيق يمس القلب فيُفرح من يسمعه لا يحزنه. فقلت له: آسفة. فقال: أتعتذرين لي؟! لا بل اعتذري لنفسك، أمّا أنا فأشكرك لأنكِ أتحتِ لي الفرصة لأتحدث معكِ..هل من الممكن أن أتعرَّف عليكِ؟ فقلت له: نعم بكل سرور.. اسمي هناء.فقال لي: وأنا أحمد. فقلت له: أهلاً وسهلاً..لا أعرف هل أشكرك على جميلك الأول عندما لملمت لي أوراقي، أم الثاني عندما أعدت لي حقيبتي، أم الثالث والأكبر عندما أنقذت حياتي. فقال: دعيني أشكركِ أنا أولاً وأشكر القدر الذي جمعني بكِ في هذه المواقف؛ فأنا أعرفك منذ ثلاثة أشهر، ولكن لم تأتِ الفرصة لأتحدث معكِ. اندهشت لما يقول وقلت له: تعرفني منذ ثلاثة أشهر؟! قال:" نعم.. دعيني أقص عليك قصتي .. أنا شاب بسيط أعمل بالعلاقات العامة في شركة للاستيراد والتصدير، يوم راحتي هو "يوم الأحد"، وكنت أسكن في هذا الشارع منذ شهرين أنا وأمي ولكننا تركناه وانتقلنا إلى شارعٍ آخر بجانب عملي ، ولكن قبل أن ننتقل إلى هناك بشهرٍ واحد رأيتك مصادفةً أكثر من مرة وأنا ذاهب إلى عملي، وأحسست ناحيتك بانجذاب غريب حتى تعوَّدت على أن أراكِ

كل يوم. فأصبحت أنزل كل يوم من منزلي في نفس الموعد لأراكِ وأنتِ ذاهبة إلى عملك.. حتى في يوم راحتي"يوم الأحد"كنت أنزل في نفس الموعد لأراكِ وأطمئن عليكِ ثم أعود إلى منزلي مرة أخرى. وعندما انتقلنا إلى سكنٍ آخر أصبحت لا أراكِ إلا "يوم الأحد" فقط، ففي كل "يوم أحد" أنزل إلى الشارعِ في نفس موعدي وأنتظر هنا لأراك وأنتِ تقفين لتنتظري السيارة التي توصلك إلى عملك. لم أعرف وقتها ما سر اهتمامي بأن أراكِ إلى هذه الدرجة؛ فأنا لا أعرف شيئاً عنكِ، حتى اسمك لم أعرفه إلا قبل لحظات.ولكن.. هل تصدقينني إن قلت لكِ إنني عشقت "يوم الأحد" لأجلك؟ بل لأجل لحظاتٍ أراكِ فيها؟ إلى أن حدث أول موقف، وجاءت الفرصة كي أتحدث معكِ وأقدم لكِ خدمةً بسيطة..فلملمت لكِ الأوراق وقدمتها إليكِ وكنت في قمة سعادتي بإحساسي أنني قد ساعدتك في شئ ما. وفي الأحد التالي كنتُ واقفاً منتظراً أن تأتي وأراكِ من بعيد كعادتي، ورأيت اللص وهو يخطف منك حقيبتك فعدوت ورائه وأحضرتها، وكنت فرحاً بما فعلت وسعيدا لأن الله قد قدَّر لي أن أشترك معكِ في موقفٍ آخر. وكل هذا وأنا لا أعلم أن القدر يدَّخر لي ما هو أكبر من ذلك وهو موقف اليوم..رأيت السيارة وهي تقترب منكِ وأنتِ منشغلة بأوراقك..خفت عليكِ؛ أحسست أن القدر يريد أن يخطف مني بسمتي.. فانطلقت بسرعة وجذبتك من أمام السيارة.والآن أنا في قمة سعادتي بحديثي معكِ، واسمحي لي أن أعترف لكِ أنني أُحبك وأُريد أن أتقدّم لخطبتك.. فهل توافقين؟".مر كل هذا

الكلام على أُذني وكأني أسمعه في حلم لي. نظرتُ إليه فوجدت في عينيه كل معاني الحب والتقدير، وتذكرت كيف أنه قدَّم لي خدمات بشهامته لم ينتظر من ورائها حتى كلمة شكر، وتذكَّرت كم شُغلت به في الأيام الماضية بعد المواقف القدرية التى جمعتني به. أحسست بداخلي براحة كبيرة من ناحيته، وأحسست أن القدر قد بعثه إليَّ ليهاديني به. فجاوبته بحياء بكلمة واحدة: أوافق.

كل هذا حدث وأنا بجانبه ونسيت أن لي عملاً قد تأخرت عنه فاتصلت بالشركة واستأذنت في هذا اليوم فوافقوني بالاستئذان بتفاهم؛ فهم يعرفون كم أحب عملي ويقدِّرون أنني مادُمتُ قد استأذنتُ فهناك أمر هام جعلني أفعل ذلك.. لأنها أول مرة. مرت الساعات سريعة خاطفة وأنا مع أحمد وهو يحكي لي عن نفسه وعن ظروفه ،ويسمع مني أنا أيضاً عن نفسي وعن ظروف حياتي، تحدثت معه وكأني أعرفه منذ طفولتي، بل تحدثنا وكأن بيننا قصة حب منذ أكثر من ألف عام واتفقنا أن "يوم الأحد" القادم سيأتي إلى منزلي ليطلب يدي من أهلي، وبالفعل حدث هذا في الأحد التالي، وفي الأسبوع الذي تلاه كانت خطبتنا وكان أيضاً "يوم أحد"! فأنا من أصَّر على ذلك؛ فقد أصبحت أتفاءل "بيوم الأحد" ونسيت أنه كان قبل ذلك يسبب لي الحزن والتشاؤم أما الآن فكل ما يسعدني يكون "يوم أحد".. فقد قابلت "أحمد" لأول مرة في "يوم أحد"، وفي نفس اليوم حصلت على ترقيتي المُتأخرة ومكافأة استثنائية، وصارحني أحمد بحبه في ""يوم أحد"، وقابل

أهلي في "يوم أحد" وتمت خطبتنا في "يوم أحد". وإن شاء الله سأتزوجه أيضاً في "يوم أحد"!! فأنا أصبحت عاشقة: " يوم الأحد".

......**(تمت)**......

الفهرس

مقدمة	5
ابتسامة أمل	9
الغرفة المغلقة	23
الملكة	31
ثلاثة أخبار	43
دموع فوق السحاب	47
زواج صالونات	51
الشارع المزدحم	63
لأجل فتاة	67
للقدر رأي آخر	81
يوم الأحد	89

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع